يا وَلدِي

مُختاراتُ في مَعاني التَّصَوف وقواعِدِ الدَّعْوة إلى الله

لفضيلة الأستاذ الإمام السّيّد

محمّد زكى إبراهيم

رائدُ العَشيرة المحَمَّديَّة

رَحِمَه الله تعالى رَحمَةً واسِعَة

مَطبوعات ورَسائِل العَشِيرَة المحَمدِيَة

بسم الله الرحمن الرحيم

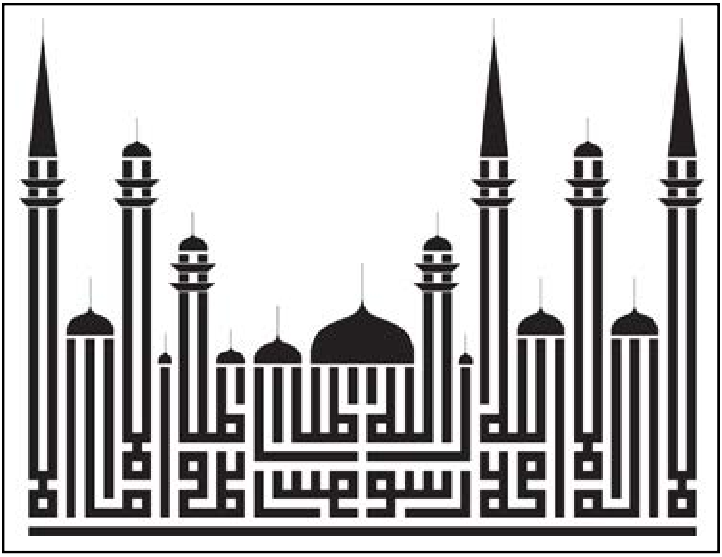
﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾

[سورة ص: الآية ٢٠]

صدق الله العظيم

يا ولدي

مختاراتٌ في معاني التّصوف وقواعدِ الدّعوة إلى الله



لا إله إلا اللّه .. محمد رسول اللّه

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١١ م

حسن الوفاء

إنّ من حسن الوفاء، وتمام الأدب، والمحافظة على العهد والبيعة: أن يزور المريد قبر شيخه، وأن يدعو له، وأن يقوم بكل ما أوصى به، وأن ينشر علمه وأدبه، ويحيي تراثه، ويعرف لمن مات شيخه وهو راض عنهم حقوقهم، وقد قال شيخنا رحمه الله رحمة واسعة:

ياولدي: لا تَنْسَ جميلي بَعْدَ الموتِ ولا تفجعني
زُرْ قبري، وتَعَهَّدْ ذِكْري تنفَعُ نَفْسَكَ أو تَنْفَعُني
حقّاً حسبي ربي لكِنْ حُسْنُ وفائِكَ لي ما أعني

أبنائي وأهلي

وقالوا: مَنْ (بَنوكَ)؟ ومَنْ بحَقٍّ
هموا (أَهْلوكَ)؟ قلتُ: أتى البيانُ
فـ (أبنائي) همو أركانُ حزبي
و (أهلي) هم دُعاتي حيث كانوا
ومَنْ أَحْيا (تراثي) فهو منِّي
وإنْ بَعُدَ الزّمانُ أو المكانُ !!

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

حمـــداً لله، وصلاةً وسلاماً على مصطفاه، وعلى آله وصحبه ومن والاه، في مبدأ الأمر ومنتهاه.

ورضي الله تعالى عن أشياخنا في الله، ورحم الله من سبقنا من إخواننا إليه، ووفق أحياءنا إلى ما يحبه ويرضاه.

أمَّا بعـــد: فهذه مختارات من كتابات شيخنا الإمام الرائد، التي صَدَّرها بقوله: **(يا ولدي)**[1]، أو أورده فيها، يجمع بينها أنها اشتملت على معالم قانون التربية، وخلاصة قواعد التزكية، فهي زاد الداعي إلى الله تعالى، ليرتقي بنفسه في معارج السلوك إلى ملك الملوك سبحانه، آخذاً بيد مَنْ حوله إرشاداً ونصحاً وأخوةً وصحبة، وتخلقاً بالربّانية، التي أمر الله بها.

---

(١) وحول عبارة (يا ولدي)، وما فيها من المعاني الرائقة الراقية، انظر ما كتب في المقدمة على رسالة الخطاب لشيخنا الإمام الرائد، وهي أول ما في هذا المجموع.

وقد ارتأت (أمانة الدعوة) جمع هذه المادة، ونشرها، بمناسبة الذكرى الرابعة عشر لانتقال شيخنا الإمام الرائد من دار الدُّنيا، إلى رحاب الحقِّ جل وعلا، وتوزيعها في المواسم العلمية التي تقام بمناسبة هذه الذكرى.

وقد احتوى هذا المجموع على بعض الفتاوى والأجوبة لشيخنا الإمام الرائد رحمه الله، كأنموذج عملي في تطبيق مناهج الدعوة، قولاً وفعلاً وحالاً.

واللهَ تعالى نسأل، وبنبيِّه ﷺ نتوسل، أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به، وأن يجعله صدقةً جاريةً، مضاعفةَ الثواب والأجر، لمؤلفه سيِّدي الإمام محمد زكي إبراهيم، رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

وصَلَّى الله على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ

أمانة الدعوة

الطريقة المحمدية
صوفية سلفية شرعية

الخطاب

هذا هو تصوفنا، وتلك هي دعوتنا

ربانية الكتاب والسنة. عدلاً بغير إفراط ولا تفريط

صورة الخطاب الصوفي السلفي الشرعي التاريخي الذي كتبه مولانا الإمام محمد زكي إبراهيم رائد العشيرة وشيخ الطريقة المحمدية الشاذلية، إلى أحد خواص مريديه.

دعـــاء

دعـا فضيلة مولانـا الإمام الرائد رحمـه الله تعالى لأحـد الأخوة في خطاب له فقال:

« أَذَلَّ اللهُ كُلَّ عَـدُوٍّ لَكَ إلا نَفْسَـكَ ، وجَعَلَ نِعْمَتَـهُ عَلَيْـكَ هِبَـةً لَـكَ لا عَارِيَـةً عِنـدَكَ ، وَأَعَـاذَكَ اللهُ مِـنْ بَطَـرِ الغِنَـى ، وذُلِّ الفَقْـرِ ، وفَرَّغَكَ اللهُ لما خَلَقَكَ لَهُ ، ولا شَغَلَكَ بما تَكَفَّلَ بِـهِ لَـكَ، وَأَعَاذَكَ مِـن الْعَجْزِ وَالكَسَـلِ ، وغَلَبَـةِ الدَّيْنِ وَالْمَـرَضِ ، وَجَعَلَ لِسَـانَكَ رَطِباً بِذِكْرِهِ ، وَقَلْبَكَ حَيًّا بِشُـكْرِهِ ، وبَدَنَكَ هَيّنًا لَيّنًا في طَاعَتِهِ ، وزَيَّنَكَ بالْمَحبَّـةِ ومَكَارِمِ الأَخْلاقِ » .

ونحـن ندعـو بهـذا لـكل أخ في الله يجيـب دعوة الداعي إذا دعاه .

أمانة الدعوة

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمة

حمــداً لله، وصلاةً وسلاماً على مصطفاه، وعلى آله وصحبه ومن والاه، في مبدأ الأمر ومنتهاه.

ورضي الله تعـالى عن أشـياخنا في الله، ورحم الله من سـبقنا من إخواننا إليه، ووفق أحياءنا إلى ما يحبه ويرضاه.

أمَّـا بعــد: فهذا خطاب صوفي جامع، كتبه شـيخنا الإمام الرائـد إلى أحـد كرام مريديـه، احتوى على دُررٍ مـن بديع البيان، وغُـررٍ مـن فيـض الرحمن، وقـد كان لـه دويّ بالغ في الأوسـاط الصوفية وغيرها.

وكان مـن فضـل الله تعـالى أن طبـع هـذا الخطـاب مـرات عديـدة، مفـرداً أو ملحقـاً بغـيره، ونـشر بالصحـف المصريـة عـلى حلقـات في شـهر رمضان المبـارك، كـما انتشر على الشـبكة العالميـة (الانترنـت)، وترجـم إلى اللغـة الإنجليزيـة[1]، ترجمـه

---

(١) الخطاب، وترجمته الإنجليزية، تم نشرهما على الموقع الإلكتروني:
www.almoslem.net

الأخ الفاضل الشيخ يوسف محيي الدين البخور الحسني، وترجم أيضاً إلى اللغة الفرنسية ترجمه الأخ الفاضل الأستاذ المرتضى[1]، ويقوم بعض الأخوة الصالحين بترجمته إلى (اللغة الأُردية).

وهذا الخطاب ليس إلا قطعة أدبية رائعة، تسري فيها روح حكم ابن عطاء الله السكندري، ويُشَمُّ منها عبق رسالة الإمام الغزالي: (أيها الولد المحب)، احتوى على لطائف الرسالة القشيرية، وتأصيل (قواعد التصوف) للإمام أحمد زروق، وإيضاحات ابن عجيبة، فهو خطاب للرُّوح والوجدان.

والخلاصة - أيها الأخ المبارك - أنه خطاب جامع ممتع، فيه قواعد وفوائد، وإشراقات روحية ورقائق، وإشارات صوفية ودقائق، يستفيد منها العامة وأهل الاختصاص، وكلما كررت النظر وجدت المزيد.

ويجدر بك - أيها الأخ المبارك - أن تستوقفك تلك العبارة المُلهمَة المحببة إلى النفس « **يا ولدي** » التي تخللت مقاطع

(١) الترجمة الفرنسية للخطاب منشورة على الموقع الالكتروني:
www.islamophile.org/spip/article999.html

الخطاب وفصوله، والتي كثيراً ما كان يخاطب بها سيدي الأستاذ الإمـام محمـد زكـي إبراهيـم تلاميـذه، والتي تجدهـا في كثير من كتاباتـه، وللعبـارة أثرها الروحـي، ووقعها النفـسي، فهي تجمع معاني الأسـتاذية والإرشـاد والتربية والتزكية، مع مشاعر الأبوة الحانيـة من تنبيه ونصيحة وتحذير، وخوف على التلميذ أو المريد، وتدل على صدقٍ وإخلاص وبذل، كلُّ تلك المعاني الجليلة تخرج في نفس واحد وكلمة واحدة، مما يوقظ الشعور، ويوثق الرابطة، ويهيئ النفس للتلقي والقبول.

وقـد كانـت نفـسي تذهب كلمـا سـمعتُ هـذه الكلمة من شـيخنا رحمه الله تعالى، وأحس أنها تخـرج من أعماق قلبه، فكلما قـال (**يا ولدي**) تترادف عليّ تلك المعاني جميعـاً في صورٍ متتابعة، تشـعرك بمزيد خصوصيـة، وبشيء مـن سر الاختصاص، يقف عنده من يتذوق معاني الكلمات.

وأحسـب أن هـذه الكلمة وأمثالهـا، تمثل في حد ذاتهـا، باباً عظيماً من أبواب التربية والسلوك، بل باباً عظيماً من أبواب الحياة الاجتماعية، والطب النفسي، وتربية النشء .

وهي مـن ميراث الصّالحين، فها هو الإمـام الغزالي يخاطب تلميذه بقوله « **أيها الولد المحب** » في كل مقطع من نصيحته المسماة بالرسالة الولدية، بينما نجد الشيخ نجم الدين كُبرى في « فوائح الجمـال وفواتـح الجلال » يكرر قوله: « **يـا حبيبي** »، بينما اختص سـيدي عبد القادر الجيـلاني بقوله: « **يا غـلام** » في كتبه، ويُصَدِّر سـيدي أحمد الرفاعـي كلامه بقوله: « **أي ســادة** »، وقبل هؤلاء جميعاً نجد القرآن الكريم قد سجل قول يعقوب عليه السلام لابنه يوسف « **يا بني** »: ﴿قَالَ يَـٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ﴾، وقالها لإخوته: ﴿ وَقَالَ يَـٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ ﴾، ويبدأ بها لقمان وصيتـه لابنـه: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾، ويكررهـا لقمـان في وصيته: ﴿ يَـٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ ﴾، ﴿ يَـٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾.

نسـأل الله تعـالى أن ينفعنا بـما علمنا، وأن يعلمنـا ما ينفعنا، وأن يجعلنا من عباده الصالحين.

وصَلَّى الله على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ

عن أمانة الدعوة

محيي الدين حسين يوسف الإسنوي

خطاب صوفي جامع

من الإمام الرائد إلى أحد كرام مريديه

....

يـا ولدي:

سـألتني عن التصوف الحقّ، وهـا أنا ذا – بإذن الله – أكتب إليك شيئاً مما يحضرني من (هوامشه)، وأُوَجِّهُكَ إلى بعض آفاق مشـارفه، لتتعرَّف على بعض حقائقه، فأنقـلُ إليك بعض ما قال رجالُه، وما بلَّغَني إليه حالُه، وما كان من فيض الحَقِّ جلَّ جلالُه. وقـد يفوتنـي التنسـيق والتزويق، ولكننـي أسـأَلُ الله ألاَّ يفوتني التحقيق والتوفيق.

« اللهُـمَّ إنِّي أَعُـوذُ بِـكَ أن أَتَكَلَّفَ مـا لا أُحْسِـنُ، أو أَقُـولَ مـا لا أَعْلَـمُ، أو أُمَــارِيَ في حَـقٍّ أَعْتَقِـدُهُ، أو أُجَـادِلَ عـن بَاطِلٍ أَنْتَقِــدُهُ، أو أَتَّخِذَ العِلْمَ صِنَاعَةً، أو الدِّينَ بِضَاعَةً، أو أَطْلُبَ الدُّنْيَا بنسْيَانِ رَبِّ الدُّنْيَا، أو أَعْمَلَ للآخِرَةِ رِيَاءً وزُوراً ».

يا ولدي:

قالوا: التصوفُ العملي تجربةٌ تصل بك إلى التذوق والصفاء والمشاهدة والوصول إلى سرِّ الذات[1]، والخلافة على الأرض، وسبيله: العلم والعبادة، فلا يغني عنك فيه سواك، فإنَّه لا يمكن أن يتذوق لك منه غيرك، كما لا يمكن أن ترى بعَيْن رَجُلٍ آخر.

فهل تستطيع أن تعرف طعم « التفاح » مَثَلاً دون أن تمضغه بالفعل؟ وهل يكفي أن تنظر إلى العسل، أو أن تعرف مكوناته لتتمتع بحلاوته، دون أن يحتويه الفم أو يعركه اللسان ؟.

وهل يمكن أن يتحقق الشبع، أو ينطفئ العطش بالتصور والخيال دون تناول الطعام والشراب، فعلاً وواقعاً؟ طبعاً: لا.

وكذلك لا يغني في هذه التجربة مجرد العلم، ولا تُوصِّل إليها دروبُ الفلسفة، فالعلم والفلسفة أعمال عقلية، وهذه

---

(١) ليس المقصود بسر الذات الإحاطة بكنه ذاته تعالى، معاذ الله ، بل المقصود معرفة الإنسان لذاته، فمن عرف نفسه بالعجز والافتقار فقد عرف خالقه بالقدرة والاقتدار، ومن عرفها بالضعف والذل عرف ربه بالقوة والعزة .. وهكذا. اهـ مصححه .

التجربـة من الأعمال القلبية الوجدانية، وشَـتَّان ما بينهما، غير أنَّ التعبـيرات الصوفية إذا عولجت بالإحسـاس والتعمق، والمعاناة والتـذوق، كانت قادرة على تغيير الباطـن الذي به يتغير الظاهر، فيولد الإنسان ولادة جديدة، كلها إشراقٌ وحبٌّ وبركة وإنتاج .. هكذا قال الشيوخ !

أمَّـا مجـرد قـراءة كتب التصـوف بـلا معاناة، فهـــذه متعة ذهنية، وثقافة عقلية، وقد تشـارك فيها النفس الأمارة بالسوء، فتكون طريقاً إلى الضلالة طرداً أو عكساً .

أمَّـــا المنح الرُّوحيـة، والإشراقات القلبيـة، فهي نتيجة الجهـود والأعـمال، فالصوفيـة أربـاب أحـوال، لا أصحاب أقوال، ولـم ينل المشاهدة مَنْ ترك الْمُجَاهَدة .

يـا ولدي:

إنَّ التصـوف خدمـة تتكيـف بحاجـة كل عـصر، وكل إنسـان، وكل وطن، فهي تجسـيد شـامل لعملية الاستخلاف

علـى الأرض، ثم إنَّ الهـدايـة أيضاً: جهـد ومعاناة، والشـيخ دليـل فقط، فمَنْ لم يَسْـعَ لم يصل، ومَنْ لـم يلتمس المعارج لا يتسـامى ولا يرتقي، ومَنْ لم يتحرك لم ينتقل، ومن اعتمد على ما عنده وحـده اغترَّ، فتَاهَ وضَلَّ.

وفي ذلك أقــول[1]:

يقـول: هـل اتخاذُ الشَّـيْـ ـخ محتومٌ عـلى القاصِدْ ؟
فقلـتُ: وهـل تَربَّـى قـ ـط مولـودٌ بـلا والـد ؟
وهـل يُتْـمُ اليتيـم كفـا هُ فاستَغْنَى عن الرافِـدْ ؟
وهـل أَبـصرتَ مكـفـو فـاً ولا يحتـاج للقائـد ؟
وهل عِلْـمٌ، وهل فَـنٌّ بغـير المُرْشِـد الرَّاشِـدْ ؟
وكيف يَسِـيرُ في الصّحـ ـرا غريبٌ ؟ أعزلٌ وافد ؟
وبــابُ الله مفـتــوحٌ ولكن مَنْ هـو الرَّائِــدْ ؟
تأمَّـلْ مـا أتى « موسـى » وقصـَّـتـه مــع العــابد
تأمَّلْ بعثــة « الهــادي » ففيهـا الشــاهد الخالـد

(١) ديوان البقايا، للإمام الرائد رحمه الله .

يا ولدي:

إنَّ نسبَكَ إلى الله أَصَحُّ من نسبِكَ إلى أبيك .

ثُـمَّ إنَّهُ مَنْ استأذن على الله أَذِنَ له، ومن قرع بابه تعالى أدخله، ونحن إنما نشير إلى الحقيقة، ونُبَيِّنُ السبيل، ونَدَعُ المُريدَ الصادق ليصل إلى غاية الطريق بجهده، فليس شيخُكَ من سمعتَ منه، ولكن شيخك من أخذتَ عنه، ومَنْ جاهد: عَدَلَ، ومَنْ اجتهد: وَصَلَ .

يا ولدي:

الشَّريعةُ جاءتْ بتكليف الخَلْقِ، والحَقِيقَةُ جاءتْ بتعريف الحَقِّ .

فالشَّريعَةُ أن تَعْبُدَهُ، والطريقةُ أن تَقْصدَهُ، والحقيقةُ أن تَشْهَدَهُ .

ثُمَّ إنَّ الشَّريعَةَ قيامٌ بما أمر به وبصَّر ، والحقيقةَ شهودٌ لما قضى وقَدَّر .

وهـذا رسولُ الله ﷺ: الشَّريعةُ أقوالُهُ، والطَّرِيقَـةُ أفعـالُهُ، والحقيقَةُ أحـوالُهُ.

فشريعَـةٌ بلا حقيقة: عاطلـة، وحقيقةٌ بلا شريعة: باطلة، ولهــذا قالوا: « مَنْ تـشَرَّع ولم يتحقَّق فقـد تعوَّق أو تفسَّــق، ومَنْ تحقَّق ولم يتشرع فقد تهرطَقَ أو تزندق ».

واعلـم - **يـا ولـدي** - أنَّ الشريعـةَ ليسـت إلا الحقيقـة، والحقيقـة ليسـت إلا الشريعة، فهمـا شيءٌ واحد، لا يتـمُّ أَحَدُ جُزأيْــه إلّا بالآخـر، وقـد جمع الحقُّ تعـالى بينهُمَـا، فمحالٌ أن يُفرِّقَ إنسانٌ ما جمـع الله .

ثُمَّ تأمل - **يا ولدي** -: قَوْلُكَ « **لا إله إلاَّ اللهُ** » هذه حقيقة، « **مُحَمَّــدٌ رسُـولُ الله** » هذه شريعة . فلو فـرَّق بينهما أحدٌ هَلَكَ، فإنَّ مَنْ رَدَّ الحقيقة: أَشْرَكَ، ومَنْ رَدَّ الشريعة: أَلْحَـد [1].

ثُـمَّ تأمَّـلْ قوله تعـالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾ تجد الشريعة، ﴿ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ تجـد الحقيقـة، وهمـا شيءٌ واحـد يسـتحيل طـرح

---

(١) والمشرك والملحد : كافران .

أحـد جُزأيْـه .. عبـادةُ العـبد : ظاهر الأمر، وإعانـة الله : باطِنُهُ، ولا بُدَّ لكل ظاهر من باطن، كالرُّوح في الجَسَد، والماء في العود.

الحقيقَةُ من الشَّريعَـةِ، كالثَّمَرَةِ من الشَّـجَرة، والأريج من الزَّهْرة، والحرارة من الجمرة، فلا بُدَّ من هـذه لتلك، فاستحال قيام حقيقة بغير شريعة.

يـا ولدي:

انظـر بعين عقلك وقلبك إلى هذا الدُّعَاء، الذي يناجي بـه أحَدُ العارفين من أشياخنا ربَّه، فيقول:

« إلهي: إذا طَلَبْتُ منكَ الدُّنْيَا فقد طلبْتُ غَيْرَكَ (١) **.**

وإذا سألتُكَ ما ضَمِنْتَ لي فقد اتَّهَمْتُكَ (٢) **.**

---

(١) لأن الدنيـا كلهـا ملـك الله تعـالى، فكيـف يـترك المالـك ويطلـب المملوك ؟!

(٢) مـا ضمنـه الله تعـالى أشـياء كثيرة ، منها الـرزق ، وقد أقسـم الله تعالى أنـه حـقٌّ فقـال: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾، وقـد سـمعها عـربي فقـال: « مَنْ أغضب رب العزة حتى أقسم ؟ ».

وإنْ سَكَنَ قلبي إلى غَيْرِكَ فقد أشْرَكْتُ بِكَ [١] !!

جَلَّتْ أوصَافُكَ عن الحُدُوثِ فكيف أكون مَعَك[٢] ؟

وَتَنَزَّهَتْ ذاتُكَ من العلل، فكيف أكونُ قريباً بذاتي منك ؟!

وتعاليْتَ عن الأغيار، فكيف يكون قوامي بغَيْرِك ؟! ».

إنَّـه كلامٌ كأنَّـه صـدىً مِن رُوح القُـدُس، وكأنَّما اقتبسـه الشـيخ مِن ألحـان الذيـن يحملون العرش، ومَـنْ حوله، ومِن تسـابيح الأرواح المهيَّمَـة بآفـاق المـلأ الأعـلى، كلامٌ فيه رائحة مولانـا رسـول الله ﷺ، وأَقبـاسٌ مـن أضـواء سـدرة المنتهى، وملامح من صدى الحقيقة والشريعة .

إنَّ التصوف – عندنا – هو « **علم فقه المعرفة** »، فهو تصحيح الإسلام، وتحقيق الإيمان، وتأكيد الإحسان[٣].

---

(١) ومـن سـكن قلبه إلى غير الله فقد أشرك، قال تعـالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ﴾.

(٢) لأن الحـادث لا يكـون معـه إلا حـادث مثلـه ، والمعية التـي يقصدها الشيخ هنا المعية القلبية .

(٣) هـي مراتـب الحديـث المعـروف الـذي ذكـر فيـه رسـول الله ﷺ : « **الإحسـان أن تعبـد الله كأنك تـراه** »، وهو حديث معروف مشـهور بين أهل العلم .

ومـن هنا كان واجبـاً، لا يمكن تحصيله بمجـرد القراءة، ويبدو ذلك واضحاً في هؤلاء الذين يدرسون التصوف علماً، ولا يمارسـونـه عملاً!! وهم يحملـون أعلى الألقاب العلمية، وكان يسميهم والدي « عربات النقل البشرية » أو « سعاة بريد المعرفـة »، إنَّما التَّصوف رفعُ الأسـتار عـن أسرار الكونيات، لإدراك أنـوار شـموس الحقائـق، فلا بـد - مـع العلم - من المعاناة والممارسـة .

والتصـوف: **التقوى**، والتصـوف: **التزكية**، وهما مقام يجمع الخوف والرجاء، وينهض بالعقيدة والخُلُق، وبه تتحقق إنسـانية الإنسان، وإنَّه ما من آية في القرآن إلا وهي تربط الدُّنيا بالآخرة، وتجعلها وسيلة إليها، من باب التقوى وطريق التزكية .

ألـم يقـل الله تعـالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾، و﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا** ﴾. ألـم يكـن مِـنْ سِرِّ الرِّسَـالات: التزكيـة ﴿ **وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ** ﴾.

نعـم: التَّصَـوفُ أدب، والعقيـدة أدب، والعبـادة أدب، والمعاملة أدب.

وهنا يصل العبد إلى رتبة (الربَّانية) بالعلم والدرس والممارسة: ﴿ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴾.

يا ولدي:

الصُّوفيُّ أكثَرُ من « فقيه »، فالفقيه وقف عند الأقوال [1].

والصُّوفيُّ أكثَرُ من « عابد »، إذ العابِدُ وقف عند الأعمال . أمَّا هو فقد جَمَعَ بينهما، فأثمر « الأحوال ».

والصُّوفيُّ أكثَرُ من « زاهد »، إذ الزاهد في الدنيا زاهِدٌ في لا شيء. أمَّا الصُّوفي فلا يزهد إلا فيما يحجبه عن الله، وبهذا يجعل الدنيا في يده، لا في قلبه.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله تبارك وتعالى، وهو أحد تلاميذ ابن تيمية رحمه الله تبارك وتعالى ، عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ ﴾ [الآية ١٨ من سورة المائدة] : « وقال بعض شيوخ الصوفية لبعض الفقهاء : أين تجد في القرآن أن الحبيب لا يعذب حبيبه ؟! فلم يرد عليه ؛ فتلا عليه الصوفي هذه الآية ﴿ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ﴾، وهذا الذي قاله: حسن » ... إلى آخر ما قال رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، فراجعه هناك لتستفيد .

وهكذا يصبح التصوف فرض عَيْن، لأنه « **طَلَبُ الكَمَالِ** »، وما من مخلوق إلا وفيه نقص يجب استكماله، وبالتالي كان كل عِلْم يمكن الاستغناء عنه إلا التصوف، لأن موضوعه: الذاتُ والرُّوح، وعَلاقَةُ الوجود بالموجود، وارتباط الغيب بالشهادة، والملك بالملكوت، وكُلُّ عِلْم بعد هذا فهو: نافلة .

جاء شابٌ إلى مرشد صوفي، فقال له: يا ولدي: « إن كنت تريد الدنيا والجنَّة فعليك بفقيه، وإن كنت تريد رب الدنيا ورب الجنة فهلم إلينا ».

نعم، مَنْ وَجَدَ الله فَمَا فَقَدَ شيئًا – وإنْ فَقَد – . ومَنْ فَقَدَ الله، فَمَا وَجَدَ شيئًا – وإنْ وَجَد – . فشؤون الدنيا كلها كشؤون الآخرة كلها، ﴿ **كُلٌّ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ** ﴾.

يا ولدي:

البَشَرُ مَدَرٌ، لا يَخْلُو مِن كَدَرٍ، فمَنْ نَظَرَ إلى الخَلْقِ: هَلَكَ، ومَنْ نَظَرَ إلى الحَقِّ: سَلَكَ ومَلَكَ.

ولكـن عليك بخلـوص النِّية من قيـود المقامـات، وأغلالِ الأحوال، وعبادة الآمال .

ثُـمَّ إنَّه ليس العَجَبُ ممن هلك كيـف هلك، ولكن العَجَبَ ممن نجا كيف نجا !

يـا ولدي:

إذا قيـل: إنَّ التصـوف مـن (الصفـاء)، فقـد أصبـح اسـم التصـوف أعظـم من أن يكون له جنس يشـتق منـه، لأن الشرط في الاشتقاق: التجانس ، والموجودات كلها: ضد (الصفاء)، إنَّها كَدَرٌ (إلا ما كان لله)، ولا يشتق الشيء من ضدِّه.

ثُمَّ إنَّ (الصُّوفي) هو صاحب الوصول.

و (المتصوف) صاحب الأصول.

والمستصوف (المتمصوف) صاحب الفضول.

وإذا رضي المحبوب: كشف المحجوب.

والتصـوف: فنـاء صفـة العبد ببقـاء صفة المعبـود، ومن هنـا كان الصوفي هو الـذي لا يَمْلِك ولا يُمْلَك، أي لا يَمْلِك نفسه، لأنه مِلْكٌ لله، وبهذا لا يَمْلِكُه غيره من مال، أو جاه، أو بـشر، ثُمَّ إنَّ صحة الملكية تكون للموجود، والصوفيُّ في حُبِّ ربـه مفقـود .

والمبتدئ في الصوفية يرى نَفْسَـه، ولكن يراها ناقصة، فهي - مع هذا - حجابٌ بينه وبين الله .

أمَّا المنتهي فقد غَضَّ بصَرَه عن نَفْسِـهِ، فـلا يراها بالكُلِّيَّة، لأنـه يـرى قَيُّومها الموجود الحق لا سـواه، ومـا لا قيّومية له من نفسه فهو عَدَمٌ مُجَسَّـد .

يـا ولدي:

الصوفيُّ قَائِمٌ بربِّـه على قلبه، وقَائِمٌ بقلبِهِ على نَفْسِهِ، وقَائِـمٌ بنَفْسِـهِ على مَـنْ يليه، وهـذه القوامـة هي التحقـق بالتصوف الرفيع: ﴿ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِ ﴾.

والصوفيُّ يُقِيمُ أمْرَ الخَلْقِ في مَقَامِهِ، ويُقِيمُ أمْرَ الحَقِّ في مَقَامِهِ، فيُظْهِرُ ما ينبغي أن يَظْهَرَ ، ويَسْتُرُ ما ينبغي أن يُسْتَر، ويقوم بواجب وقته كأفضل ما يقوم رجل، وبه يستقيم عاتق الميزان برُوح الربَّانية .

إنَّ الله أمرنا بالتصوف، فهو يقول: ﴿ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴾ .

والربَّانية عندنا هي (التصوف)، فهي في الآية علم ودراسة، ومقتضى ذلك: العمل، والعمل الصحيح .

فالتصوف: هو الربَّانية، وهو التَّقوى، وهو التزكية، وثلاثتها شيءٌ واحد، لا بد لبعضه من بعض، فلا ربَّانية بلا تقوى، ولا تقوى بلا تزكية .

وتستطيع أن تُسَمِّي ذلك جميعاً: البر ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾ فاقرأ آيات البِرِّ من سورة البقرة وغيرها [1]، وسترى أن جِماع ذلك وملاكه هو « الخُلُق ».

---

(١) منها: الآيات «٤٤» البقرة، و«١٧٧،١٨٩،١٩٢» آل عمران ، و «٢» سورة المائدة ، والمجادلة «٩٠» .

فالتَّصوف خُلُق « مَنْ زاد عليْكَ في الخُلُقِ: زَادَ عليْكَ في التَّصوف »، وبالتالي زاد عليك في الإنسانية، فنفع وانتفع، وأدَّى رسالة البشرية بروح سماوية عَلِيَّة.

وهكذا تشرق لك بعض معاني قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾، فما كان من عظمةٍ في شؤون الدُّنيا والدِّين، فإنَّما هي أثر للخُلُق العظيم.

يا ولدي:

ليس للشيطان على الصُّوفيِّ الصَّادِقِ سَبِيلٌ، لأنَّه تحقَّق بالعُبُوديَّة المحضة، فدخَلَ في قُدُس: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾.

وقد عرف الشيطان هذا واعترف به، ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾، وقال: ﴿ لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾، ومِنْ ثَمَّ كانت العبودية أعلى مراتب القرب: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾، و﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ

ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾، ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾، ﴿ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ﴾، ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾ .

واعْلَـمْ - يـا ولدي - وعَلِّـم النَّاس: أنَّ التصـوفَ الحَقَّ مُقَيَّـدٌ بأحكام الكتاب والسُّنَّة، على أساس العزيمة، وحذار من الصيرورة إلى الرُّخْصَة، إلا في حَـدِّها المحدود، فالتصوف - من حيث هو - عِلْمٌ وعَمَلٌ، وخُلُقٌ وعِبَادَةٌ، وجِهَادٌ ودَعْـوَةٌ .. هُوَ أصْلٌ مُؤَصَّلٌ مما جاء به الوحي، وحثَّت عليه الشريعَةُ كما رأيْـتَ، فهو كمـا قلنا « طلـبُ الكمَـالِ »، وكلُّ امرئ - مهما يكـن شـأنه - فيـه وجه، أو وجـوه من النقـص، وبهذا يصبح التصوف واجباً عينياً، لا عذر لأحـد معه .

(هـذا هو تَصَوُّفُنَا)، وهو (علم فقه المعرفة)، ولا شـأن لنا بتصوف الآخرين، و﴿ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ .

وهكـذا يكـون الصوفيُّ هـو (المسـلم النموذجـي)، تمثيلاً للإنسـانية الرفيعـة، واندماجـاً في موكـب الحياة الزاخـر بالجـدِّ وبالمجد، والعمل الروحي، والعمل الحضاري الخالد.

يعيـش الصوفيُّ: بَدَنٌ مع الخَلْقِ، ورُوحٌ مع الحَقِّ، الفَرْقُ في لِسَانِهِ، والجَمْعُ مع جَنَانِهِ [1]، وهو يعلم أنَّ العمل مَعَ الغفلة خَيْرٌ من الغفلة عن العمل !!

يـا ولدي:

التصوف دعوة « الحُبِّ » الذي فقده النَّاس، ففقدوا الحقيقة الإنسانية في الأجساد البشريـة .

والحـبُّ هو: الخصيصـة المميِّزة للسـالك الصـوفي، فهو يحبُّ الله، وبالتالي يحب خلق الله، فهو يحبهم بحب ربهم، وهو بحكم حبه لهم يسعى في خيرهم وبرِّهم .

وتصـوَّر - **يـا ولـدي** - مجتمعاً يحكمـه: الحبُّ، والسَّـلام، والتَّسـامح، والتيسـير، واللين، والتعبـد، والتعاطف، والشرف، والإيثـار، وتحـرِّى معالي الأمـور ؛ كيف يكون أفـراده ؟ وكيف تمضي حضارته ؟!

---

(١) الجَنَان: بفتح الجيم: القلب .

إنَّ العنفَ، والقسـوة، والقهر، والتعالي، والخبث، والتغالي، والبـذاءة، والتعـالم، والاندفـاع، وأذى الناس: أقـذارٌ لا يعرفها التصوف.

واسـمع الآن الشـاعر الصُّـوفي يحــدو عـلى شـاطئ الحب قائـلاً:

رأى المجنُونُ في الصَّحَرَاءِ كَلْباً
فمَــدَّ له مِنَ الإحســانِ ذَيْلا !
فلامـــوهُ عـلى مــا كان مِنْـهُ
وقالوا: كم أَنَلْتَ الكَلْبَ نَيْلا ؟
فقال: دَعُـوا المَلامَـةَ إنَّ عَيْنِي
رأتْــهُ لَيْــلَـةً في حَـيٍّ « لَيْـلَى »

يـا ولدي:

يقول السّادة رضي الله عنهم:

« سِرُّ الحَقِيقَــةِ ظَاهِـرٌ، وعَلَمُ المَعْرِفَـةِ منصُوبٌ، وبَابُ

الوصُولِ مَفْتُوحٌ ؛ ومَا حَجَبَكُمْ إلا رُؤْيَة أنفُسِكُمْ، فعَشَّش فيها الكِبْرُ وبَاضَ وأَفْرَخَ !! »، والكِبْرُ مِيرَاثُ إبْلِيس .

وهم يقولون رضي الله عنهم:

« الطَّرِيقُ واضِحٌ، والدَّلِيلُ لائِحٌ، والدَّاعِي أَسْمَعَ، فَأَقْنَعَ وَأَمْتَعَ؛ ومَا التَّحَيُّرُ بعد ذلك إلا مِنْ غَفْلَةِ النَّفْسِ، وغَلَبَةِ الهَوَى، واعْتِقَادِ الفَضْلِ على السِّوَى ».

يا ولدي:

لقد كان التصوف ثورة على الترف والاستعجام والانحلال واللامبالاة ؛ فإذا دخلته المغالاة، فتلك طبيعة الأشياء، وهذه قصة الصحابة الذين أرادوا أن يصومُوا بلا فطر، وأن يعيشوا على الطعام الرمزي، وأن يتركوا النساء والأولاد، وأن يصلوا الليل بالنهار: تَعَبُّداً وانقطاعاً عن الحياة، فنهاهم الرسول ﷺ، وأرشدهم إلى الوسطية والاعتدال [1] ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةً وَسَطًا ﴾.

---

(١) كان فيما قال لهم رسول الله ﷺ : « **مَنْ رَغِبَ عن سُنَّتي فليس منِّي** » متفق عليه .

كان ذلك والوحيُ ينزل، والرسـولُ ﷺ حيٌّ، فإذا داخل التصوف الغلاة والمتنطعون، واسـتبدلوا حكـم إحياء النفس بقتل النفس، أو اختاروا الخبيث على الطيب ؛ فليس هذا عيباً في التصوف نفســه؛ فالتصوف شيء غير المتصوف، ولا يمكن أن يحمل الإسلامُ وزر المسلم الذي ينحرف، وهل يترك المسلم التقي إسلامه لأنَّ في المسلمين قوماً ضَلُّوا السبيل؟!.

التصـوف دعـوةٌ إلى الحريَّـة المطلقـة، والسِّـيَادة التَّامَّـة على النفس والشـهوة، وعلى الشيطان، وعلى العبودية لغير الله، وعلى كل صَغَـار خُلُقي أو فكري، فهو أصْلُ التَّحَرُر المطلق من أغلال المادة والهوى، لأنَّ الصُّوفيَّ قد تحقق بقوله: « **لا إله إلا الله** ».

فالتصـوف - **يـا ولدي** - كما رأيْتَ ، فـوق أنَّه دعوة الحب والنور، والفيض والبركة والمدد، هو **دعوة الحرية المطلقة**، ورفض كُلِّ عبودية - حسيَّـة أو معنويَّـة - لغير الله، فهو - **يا ولدي** - ردُّ اعتبار الإنسانية للإنسان، بعد ما فقد الإنسان اعتباره، واستعبدته المـادة، ومـكاره الأخـلاق، والكيـوف المتحكِّمَـة، والشَّـهوات المظلمة، والآمال المعتمـة .

التصـوف - **يا ولدي** - هو ترميـم بناء الباطن بعد أن تحطم الإنسان من داخله.

التصـوفُ الحَـقُّ: دعْـوَةٌ إلى القُـوَّة، والعلـم، والتوحيد، والعزة، والعدالة، والمساواة، والإحياء، والتكافل، والتكامل، والتجديد، والابتكار، والسِّيَادة، والقيادة، لأنَّ الله خَلَقَ المسلم الحـقَّ ليُمَارس كُلَّ هذا وما يترتب عليه، وما يتفرّع عنه، قولاً وعمـلاً وحـالاً ﴿ **لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ** ﴾، ولـكُلِّ كلمـة من كل ذلـك شَرْحٌ عريقٌ عميقٌ، أَصْلُهُ الكِتَابُ والسُّنَّةُ، وفرعُهُ الفَيْضُ والمدد.

وهكـذا كان مَنْ فاته التصـوف الحق، فقد فاته الخير الذي قـد لا يُعَـوَّضُ عـلى الإطـلاق، وأيُّ خَـيْرٍ يكـونُ إذا انقطعت عَلاقَـة المرء بالسماء، وما وراء هـذا من الأسرار والأنوار ؟!.

إنَّ عنـد « الصوفية » ما عند النَّاس، وليس عند النَّاس ما عند « الصوفية ».

يـا ولدي:

قـد يعـترض عليك بعضهم بأقوالٍ لـم يفهمها مما جاء عن بعض السلف، والسـلف بشر، فإنْ أخطأوا فوزرهم على أنفسهم، ولا نُسْأَلُ عنهم، ولا نُؤاخَذُ بما اجترحوا، ﴿ **وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ** ﴾.

ولكننـا نعتقـد أنَّهـم أرادوا الخـير، وكانـت لهـم ظـروفٌ وصروفٌ وملابسـات، أجبرتهـم عـلى الرمـز والإشـارة، أو إلى الإلغاز والتحجية، وما دامت أقوالهم تقبل التأويل الإيماني - ولو مـن وجه واحد مـن مائة وجه آخر - فإننا نحمله على هذا الوجه الواحـد المؤمن، بحسـن الظـن، وبحكـم العلم، ونـدع ما وراء ذلـك لله وحـده، فليس أحد يقول أو يكتب شـيئاً وهو يعتقد أنه يدخل به النار!! وليس من حَقِّ أحد أن يحكم على أحد بالخروج من المِلَّة إلا بدليل لا شبهة فيه « على مثل ضوء الشمس »(١).

---

(١) قال رسول الله ﷺ : « **على مثل الشمس ، فاشهد أو دَعْ** » رواه الحاكم والبيهقـي عن ابن عباس مرفوعاً ، ولفظه: « **إذا علمت مثل الشـمس فاشهد ، وإلا فدَعْ** » ورواه الديلمي بلفظ « **يا ابن عباس، لا تشهد إلا على أمر يضيء لك كضياء الشـمس** »، ورواه الطبراني والديلمي أيضاً عن ابن عمر رضي الله عنهما .

ونحـن نعتقـد أنَّ لكلام القـوم مفاتيحٌ لمسـتغلقات مترامية الأبعـاد، فهـي لخاصَّـة الخاصَّـة، فما لـم نفهمهم عـلى مرادهم اليقيني فلندع لله أمرهم، ولنستغفر الله لنا ولهم .

ونقول: لعلَّهم تأولوا، أو اجتهدوا فأخطأوا، هذا موقفنا: مـبرءاً مـن الوغـى(١) والدعـوى، عـلى طريـق الحـب والخـير والأدب.

يـا ولدي:

غَايــة كُلِّ مُتَحَـرِّكٍ إلى سُـكُون، ونِهَايَـةُ كُلِّ مُتَكَـوِّنٍ ألاَّ يَكُون، فإذا كانَ ذلِكَ كَذَلِكَ، فَلِمَ التَّهَالُكُ عَلَى الهَالِكِ؟!.

يقول أشياخنا رضي الله عنهم:

أُصُولُ صُحْبَتِنَا سَبْعَـةٌ:

١- عُلُوُّ الهِمَّـة .

٢- وحِفْظُ الحُرْمَـة .

---

(١) الوغى: الصوت والجلبة .

٣- وحُسْنُ الخِدْمَـة .

٤ - ونُفُوذُ العِزْمَــة .

٥ - وتَعْظِيمُ النِّعْمَــة .

٦ - والنُّصْحُ للأُمَّــة .

٧ - ودَفْعُ البَاطِلِ بالحِكْمَــة .

وهـم يقولـون: « **إذا أَلِـفَ القَلْـبُ الإعِـرَاضَ عـن الله، صَحِبَتْهُ الوقِيعَةُ في أَوْلِيَائِهِ** »[١].

وقَلَّمَا رأيْت في خصوم التصوف رقَّـةَ الإسـلام، أو سـعة الأفق، أو سماحـة النُّبُوَّة، أو رفق الولايـة، أو حسن الظن، أو أدب المعاملة، فإن ذلك كله إنَّما ينبع من معين التواضع، الذي هـو خميرة « مكارم الأخلاق ».

وهـؤلاء قـد حُرِمُوا هــذه النعمة، فليس منهـم إلا جاف

(١) مـن قـول الإمـام المجمـع عـلى جلالته أبـو تـراب النخشـبي (المتوفى ٢٤٥ هـ)، انظر الرسالة القشيرية ص ١١٩ . اهـ مصححه

الطبـع، معتم القلب، غليظ الـروح، ثقيل الظِّل، مظلم، معتم، كأنما هو سجَّـانٌ فظٌّ، أو صاحب « مشنقة » كَنُود ؛ فهو متأزم، معقَّـد، حامل غلٍّ على الذيـن آمنوا (١)، يكاد الكـبر يتفجَّرُ من جَنْبَيْـه، تعالياً على النَّاسِ، وتألهاً عليهم، فقد زعَمُوا لأنفسـهم العصمة وضـمان الجنة، وأقامـوا من أشـخاصهم أوصياء على ديـن الله، كأنَّمـا الدِّين ما عندهـم وحدهم، إلا مَـنْ رحم الله، وقليلٌ ما هم.

ويعلم الله أنَّنا نأسـى لهم، ونعطف عليهم، مما ابتلاهم الله بـه، وندعو الله بظهر الغيب لهم، ولا نزال نعتقد أنَّ فيهم خَيْراً، نرجو أن يغلب عليهم، وما ذلك على الله بعزيز.

إنَّ النَّـاس لا يطلبون الله والجنَّة بما صَحَّ عند غيرهم، وإنَّمَا يطلبون ذلك بما صَحَّ عندهم، فإن أصابوا فأجران، وإن أخطأوا فأجر (٢)، وعند الله مزيد، ولكل امرئٍ ما نوى.

---

(١) أين هؤلاء من قول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ [الآية ١٠ من سورة الحشر] .

(٢) لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك .

يـا ولدي:

هذه لمحـةٌ « **على هامش التصوف** »، وأرجو أن يكون لي عودةٌ إلى مثل هذا الحديث مَعَكَ، إن كان في العمر مـدد، فهـو حديثٌ غير ممنون: ذو شؤون وشجـون !!.

وإنِّي أقول ما قال السادة: « **لو أَنَّ الخاطئين خَرِسُوا ما تَحَدَّثْنَا مِنَ البَكَمْ** »، ويعلم الله لو كان للذُّنوب ريحٌ ما دنا منَّا أحد[1].

أقولُ قولي هذا، وأَسْتَغْفِرُ الله لي ولكم وللمسلمين.

وهو الموفق المستعان.

*** وصَلَّى الله على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ ***

وكتبه المفتقر إليه تعالى وحده

محمد زكي الدين بن إبراهيم الخليل الشاذلي

رائد العشيرة وشيخ الطريقة الشاذلية المحمدية

رحمه الله تعالى رحمة واسعة

---

(١) قال الشاعر رحمه الله تعالى:

أحسـنَ الله بـنـا أنَّ الخطايـا لا تفـوحُ

فـإذا المسـتور منّـا بـين جنبيـه فضـوحُ

وهو القاهر فوق عباده[1]

(فقرات من دستور الجهاد في اللّه)

يظهر أننا نعلن بدعوة الإصلاح الرُّوحي قبل أن يأتي وقتها ولا أهلها، وأننا نعيش أغراباً بجهادنا، في غير ديارنا ولا زمننا.

(١)

بهذه العبارة ختم أحد إخواني وأبنائي في الله كتابه إليَّ شاكياً ما يجده في الوطن المسلم من بعض المسلمين، نقول:

والذي يجب أن يكون معروفاً لكل مجاهد في الله أنه دائماً عرضة لكل مذهل فاجع من التصرفات والأحداث، في النفس والأهل والمال والإخوان والعمل والدعوة، وأنه يجب أن يكون لكل مفاجأة تبهته من هذا النوع عدتها ومكانها من حياته العادية، بحيث لا يضطرب لها عرق واحد من جسمه، فهذه هي الدنيا، وهؤلاء هم النّاس، وذلك هو الجهاد، وتلك هي سنة الله، ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولا تحويلاً.

---

(١) مجلة المسلم، السنة الثامنة، العدد الحادي عشر، غرة المحرم سنة (١٣٨٢هـ)، ديسمبر سنة (١٩٥٨م)، كلمة الرائد.

ثُـمَّ إنّ الزمـان يـدور ويتطـور، والعقـول تثـب وتتحرر، وعجلـة التقدميـة تجـري في سرعـة مذهلـة، فـكُلُّ قديـم إلى جديـد، وكُلُّ فسـادٍ إلى صـلاح، ولا بـد مـن يـوم تفـرض فيه (**دعوة الإصلاح**) نفسها فرضاً ملزماً قريباً جداً، ولن يكون من دونها مهرب ولا معذرة، تلك هي طبيعة الأشـياء، ولا سـبيل إلى مغالبتها، فاطمئن مجاهداً، أيّدك الله.

(٢)

يا ولـدي: إنَّ علينا العمل، وليس علينا النتيجة، فإنْ نكن نعيـش في زماننـا فلا بد مِنْ نـصر الله، وإنْ طالت الشُّـقَّة وبَعُدَ السَّـفَر، وإنْ لم نكن نعيش في زماننا فلنـا شرف الريادة الأولى، وبناء حجر الأسـاس، وسـوف ينصفنا الله حين يخذلنا النّاس، وسـوف ينصفنا التاريخ مِنْ بعد، وسنكونُ في الأجيال القادمة محل قداسـة ودراسـة، وقدوة وإمامة، فإنّنا نسـجلُ لِمَنْ بَعْدَنا مرحلـة انتقالٍ معنويـةٍ ضخمـةٍ، ونرصدُ لهـم المعالم، ونهيئ لهـم السـبيل، وندع لهم إتمـام ما بدأناه، شـأن كُلِّ دعـوةٍ هادفةٍ هاديةٍ لله، على أننا إنّما نعمل لله وحده.

(٣)

يـا ولـدي: ومنـذ كـم كان طريق الجهـاد مفروشـاً بالورود والحرير؟! لو كان مفروشـاً كذلك ما كنتَ مجاهداً، ولما حصَّلتَ هذا الشرف الرفيع، بل كنتَ تكون محظوظاً ناعماً، أو مسـتدرجاً منحوسـاً، إنّـك كلما لاقَيْـتَ البلاء والـلأواء، وعانَيْتَ البأسـاء والضراء، وتنكَّر لك الخصوم، وتألَّبَ عليك المقرّبون والأخِصَّاء، كلما كان ذلك دليلاً إلهياً على أنّك من أحباب السماء.

ألـم يأتِكَ كيـف كان قد ارتد عن الإسـلام عبـد الله بن أبي الـسرح[1] كاتب الوحـي؟ وانقلب عدواً لدوداً لرسـول الله ﷺ

---

(١) عبد الله بن سـعد بن أبي السرح القرشي العامري، أسلم قبل الفَتْح، وهاجر، وكان يكتب الوحي لرسـول الله ﷺ، ثُمَّ ارتد مشركاً، فأمر النبي ﷺ يوم الفتح بقتله فيمن أمر بقتلهم ولو وجدوا تحت أسـتار الكعبـة، لعظيـم جرمهـم، ثم إن عثـمان رضي الله عنـه، وكان أخوه مـن الرضاعـة، أتى بـه النبي ﷺ، واسـتأمنه له، ومـا زال حتى عفا النبـي ﷺ عنه، فحسـن إسـلامه، ولم يظهر منه شيء يُنكـر عَلَيْهِ بعد ذَلِكَ، وغزا وجاهد وافتتح إفريقية وبلاد النوبة، وولي مصر، ومات في صلاة الصبح.

يكذبه ويهزأ به إلى يوم الفتح الأكبر، ونعوذ بالله من بليّة السّلب بعد العطاء.

اقرأ سير الخالدين من أبطال الدعوات المستنيرة، وانظر كيف خانهم أقرب النّاس إليهم، وتخلّى عنهم أعز النّاس عليهم، فتبنتهم القُدْرة، واحتضنهم الغيب، فأدّوا الرسالة رغم الزلازل والزعازع، بل خلدتهم هذه الزلازل والزعازع نفسها، وسارت هي بذكرهم على وجه الزمان نوراً وعطراً وبركةً وإمامةً، ولم يبق للآخرين مِنْ ذِكْر إلا على صورة المقابلة بين القُدْس الأعلى والدَّرْكِ الأسفل، أو كما يذكر النّاسُ إبليسَ في جانب جبرائيل.

(٤)

يا ولدي: لقد باع يهوذا الأسخريوطي سيِّده المسيح عيسي لأعدائه بدانق وسحتوت، ولم يأبه لما ارتبط به من عهد الله معه، ولا للمفروض من قوانين الأخلاق ومعايير القيم العالية، فانظر الآن أين يهوذا ؟ .. وأين المسيح ؟

يـا ولـدي: ربـك أكـبر وأقـدر، ﴿ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴾ [النساء: ٨٤].

نظر رسـول الله ﷺ إلى نَفَرٍ من أصحابه، كأنّما قد أكلتهم الألسن، واجترت ذكراهم الأفواه، فقال لهم النبي ﷺ: « **أيعجز أحدكم أن يكون مثل أبي ضَمْضَم؟ إنَّ أبا ضَمْضَم كان إذا خرج مِنْ داره قال: اللهُمَّ إنِّي تَصَدَّقْتُ بعرضي على النّاس** »[1].

فقُلْ معي – **يا ولدي** –: اللَّهُمَّ إنِّي تَصَدَّقْتُ بعرضي على النّاس، ولَعَلَّكَ قَرَأْتَ في الحديث الشريف: « **عِنْدَ الله خَزَائِنُ**

(١) رواه أبو داود (٤٨٨٧)، والضياء المقدسي في المختارة (١٦١٦)، ولفظه: «قال رَسُولُ الله ﷺ لأَصْحَابِهِ: « **أَتَعْجِزُونَ أَنْ تَكُونُوا مِثْلَ أبي ضَمْضَمٍ؟** » قَالُوا: وَمَا أَبُو ضَمْضَمٍ، يا رَسُولَ الله؟ قال: « **فإنَّ أبا ضَمْضَمٍ رَجُلٌ كَانَ قَبْلَكُمْ، كَانَ إذا أَصْبَحَ قال: اللَّهُمَّ إنِّي قَدْ تَصَدَّقْتُ اليَوْمَ بعِرْضِي عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي** » قال: رِجَالُهُ مُوَثَّقُونَ، والصَّحِيحُ أَنَّهُ مُرْسل. ورواه أيضاً البيهقي في شعب الإيمان (٨٠٨٣)، وابن السني في عمل اليوم والليلة، ولفظه: « **اللَّهُمَّ إنِّي قَدْ وَهَبْتُ نَفْسِي وَعِرْضِي لَكَ، فَلا يَشْتُمُ مَنْ شَتَمَهُ، ولا يَظْلِمُ مَنْ ظَلَمَهُ، ولا يَضْرِبُ مَنْ ضَرَبَهُ** ».

الخَيْرِ والشَّرِّ، ومَفَاتِيحُهَا الرِّجَالُ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَهُ اللهُ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ وَمِغْلَاقًا لِلشَّرِّ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَهُ مِفْتَاحًا لِلشَّرِّ، مِغْلَاقًا لِلْخَيْرِ»[1].

والنّاس هم النّاس بكُلِّ ما في البشرية مِنْ نَزَوَاتٍ وبَدَوَاتٍ وصَبَوَاتٍ[2]، ومناقِص وشَهَوَاتٍ، ومِنْ نَفْعِيّة ووصولية، والمشابهة والمناسبة والغاية تجمع البعض على البعض، وهم أعلم ببعض من بعض، فما كان لله دام واتصل، وليس كذلك ما لغيره تعالى، فارتقب، فإنّ الدُّنيا حُبْلي تَلِدُ العجائب، والدَّهْرُ قُلَّبٌ حُوَّلٌ[3] غَدّارٌ، ولا أمان لزمان، فالدَّيّان سبحانه لا يموت، وكما تَدِين تُدان، وإنَّما يؤتى الحذر مِنْ مأمنه.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٥٨١٢) . وأخرجه أيضًا: ابن ماجه (٢٣٨)، وأبو يعلى (٧٥٢٦) ، والروياني (١٠٤٩).

(٢) **النزوات**: جمع نزوة، ونزوةُ الغضب: حدّته، ونزوات الشباب: تقلُّباته، وهو ذو نَزَوات: لا يستقرّ على حال.

البدوات: الحوائج التي تبدو لك، وفلان ذُو بدوات: إذا كَانَت تظهر لَهُ آراء فيختار أحزمها، أو يظهر له الرأي بعد الرأي.

(٣) **قُلَّبٌ حُوَّلٌ**: كثير التقلب والتحول، لا يبقى على حال، ولا يقر له قرار.

(٥)

يـا ولـدي: « الدِّيـنُ النصيحـةُ »[١]، والنصيحـة مُـرّةٌ إذا ما استشـعر المرءُ الكمالَ مِن نَفْسِه، واستشعارُ الكمال أمارةُ النَّقْصِ، كـما أن استشـعار النَّقْصِ أمـارةُ الكمال، ولهذا سُـمِّيَت النصيحةُ نَقْـداً، بمعنـى أنها تَنْقِدُ الأمور نَقْدَ الصـيرفيّ للمال، يميز الصرف مـن الزيـف، فيراه مُـرَوِّج الـصرف إماماً مـبروراً، ويـراه مُرَوِّج الزيف مهرجاً موتوراً، كُلٌّ بحسـب حاله ولون طويته، فحَسْبُكَ أن تقـف موقـف الصـيرفي النَّزيـه، تقـول لصاحـب الـصرف: أحسـنتَ، ولصاحب الزيف: أسـأتَ، هذا وذاك لوجـه الله، ثُمّ تتقبل شكر الأول، كما تتحمل عبث الثاني، أيضاً هذا وذاك لله.

مـاذا قالوا عن الأنبياء؟! ماذا قالوا عن الأولياء؟! ماذا قالوا عن الأئمة ؟!

أليس بقي إمامنا مالك سنوات لا يخرج لجمعة ولا جماعة ممّا لقـي ؟! أليس مات أبو حنيفة مِنْ آثـار ما فعلوه به ؟! ألم يخرجوا البخاري من وطنه ؟!

---

(١) رواه مسلم (٥٦).

هل نسيت ما حدث للأئمة الصوفيين؟! ألم يسلخ النسيمي؟! ألم يصلب الحلاج؟!

أليس تاريخ العصر الحديث كله ناطق بما يلاقيه الزعماء وأصحاب الدعوات من متاعب وأهوال ومشقات ؟!

اقرأ القرآن والحديث، وراجع التواريخ والطبقات والمناقب، ثُمّ: احمد الله على ما أورثك من نعمته، وإلا فلستَ بداعيةٍ صامد، ولست بمجاهدٍ خالد.

لقد سجَّل الإمام السيوطي فخره، وشكر ربّه على أن هيَّأَ له مَنْ يؤذيه بيده ولسانه، وكتب في هذا باباً كاملاً [1]، ذكر فيه سُنَّة الله مع عباده الصّالحين منذ العهد القديم، رجلاً بعد رجلٍ، أفلا يكفيك أن تلحق بهذه السلسلة فتذكر مع أهلها يوماً ما ؟

(٦)

يا ولدي: في حديث ابن عبّاس رضي الله عنهما: « **لا يؤمن أحدكم حتي يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن**

---

(١) في كتابه « التحدث بنعمة الله » (ص ١٦٠-١٦٣).

ليصيبه»[1]، «**جَفَّتِ الأَقْلامُ وطُوِيَتِ الصُّحُفُ** »[2]، وتلك مادةٌ أساسـيةٌ من دستور الجهاد النظيف، والجهادُ إيمانٌ وعملٌ، وأنت إنْ عشـتَ فلـن تعدم القـوت، وإنْ مِتَّ فلن تعـدم القبر، فعلام تعط الدنيّة في دينك أو دنياك ؟

إنه يعجبني قول الرافعي:

بنـي: تلـق الدهـر غيـر مفـزع

بصدرك، ولتعر الخطوب كما تعرو!

وكن رجلاً كالضِّرس يرسو مكانه

ليطحـن، لا يعنيـه حلـو ولا مـر!

---

(١) رواه الترمـذي (٢١٤٤)، عـن جابـر رضي الله عنـه. ورواه أحمـد (٢٧٤٩٠) عـن أبي الدرداء رضي الله عنه، رفعه: «**لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةٌ، وما بَلَغَ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الإِيمَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وما أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ**».

(٢) هـذه الجملـة من حديـث ابن عبّاس المشـهور: (**احفـظ الله يحفظك**)، وهـي باللفظ المذكـور في رواية الطبراني في الكبـير (١٢/ ٢٣٩)، وفي الدعاء (٤٢)، ولابن السني في عمل اليوم والليلة (٤٢٦).

فعـز الحسـام الهندوانـي صـدره

وذل العصـا أن العصا كلها ظهر!

هـذا توفيق الحكيـم: أليس في شـأنه عبرة (مـع أن عمله في غير المحيط الديني)، حاربه الفئة الواهمة حتى شيعوا (أو كادوا) جنـازة تاريخه وعملـه الأدبي كله (على خطئـه وصوابه)، وكادوا أن يهيلـوا عليه الـتراب، ولكن قد كان الله في الجانب الآخر، فإذا الدوله عالمة مبصرة فاهمة، وإذا عدل السـماء، وإذا في عنق توفيق أرفع وسام، فأصبح كأنما يردد خصومه:

ذكـرت جاهـك والدنيـا مواتيـة

وقـد نسـيت الذي يـأتي بـه القدر

وجاء صفـو الليالـي فاغتررت به

وعند صفو الليـالي يحدث الكدر!

يقول ربك تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ

﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤].

(٧)

يـا ولـدي: أنـا لا أمنعـك أبـداً أن تنتظـر (كما تقـول) يقظة الضمـير، أو صحوة الإيمان النائم في ضمائر بعض النّاس، فكثيراً ما حَدَثَ ذلك مِنَ السّـادة، أي عندما لم يكن التدني فطرياً أصيلاً في الإنسـان، أي عندما يقع الإنسـان الفاضل تحـت هيمنة عامل طـارئ ليس من طبعـه ولا وراثته، فذلك هو الأواب السـامي، ولا يزال في النّاس من هؤلاء بقيةٌ نبيلةٌ.

أليس كان رسول الله ﷺ يحلف علي الشيء حتى إذا بدا له ما هو خير منه كَفَّر عن يمينه، وعاد إلى ما هو خير[١] ؟!

غير أنني لحظـتُ أنك أحياناً تلوذ بالقشرية والهامشـية فيما

(١) في صحيح مسلم (١٦٥١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قـال: «**مَـنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فرَأَى غَيْرَهَا خَـيْراً مِنْهَا، فَلْيَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ ولْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ**».

تعالــج مــن كتابــاتٍ إليّ، وأودُ لــك أن تكون موضوعيــاً عميقاً، تحدِّدُ الهدف وتحيطُه، ثُمَّ ترمي إليه جزءاً جزءاً ببرهانك وإيمانك، شــأن أهل العلم وأهل الفضل[١]، وإيَّاكَ والقدوة بأولئك الذين يســتبدلون السباب بالعلم، والشتم بالحُجّة، ويلوذون بالسُّلطان إذا أعياهم البرهان، فبين الفضل وبين أولئك سَبْحٌ طويل.

ثُــمَّ عنــد إيمانك قف وتذكَّــر حديث رســول الله ﷺ: « **لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَيُمْشَــطُ بِمِشَاطِ الحَدِيدِ، ما دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ، ما يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، ويُوضَعُ المِنْشَــارُ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَيْنِ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ** »[٢].

هل نسيت قصة أصحاب الأخدود ؟!

---

(١) وهذا للأسف مفقود في كثير من المتحدثين اليوم، فلمّا نسي المتحدِّث أن يحيط بموضوعه، وأن يحدد الهدف من حديثه ويحيط به، وغفل عن تحديد المشكلات، وإيجاد الحلول، ولم يستطع أن يُحدد محل النزاع، أو يصور المسـألة ويسـورها، فلم تكن النتيجة إلا ما أسـميه (حوار الطرشان).

(٢) رواه البخاري في الصحيح (٣٨٥٢)، عن خباب رضي الله عنه، وتمامه: « **ولَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ مَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ . زَادَ بَيَانٌ: والذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ** ».

(٨)

يا ولدي: لله نحب ولله نبغض، ولله نقول ولله نسكت، ولله نقبل ولله ندبر، ولله نبني ولله نهدم، ولله نترفع ولله نتواضع، ولله نُقَدِّمُ ولله نحجم، أصحاب رسالة، وخدام دعوة، وسدنة حرم روحي مقدس، خرجنا مِنْ حَوْلِنا وقُوَّتِنا إلى حول الله وقوتِهِ، وبرئنا مِنْ عِلْمِنا وعَمَلِنا إلى علم الله وعمله، وتجرّدنا مِنْ تدبيرنا واختيارنا إلى تدبير الله واختياره، فمَنْ أرضى الله بسخط النّاس كان الله له، ومَنْ أسخط الله برضا النّاس كان الله عليه، ولا يستوي الخبيث والطيب، ولا المفسد والمصلح، ولا المحترف والمؤمن، ولا العالم والجاهل، ولا مَنْ يصانع النّاس ومَنْ يقارع النّاس، فإنه لا إيمان لمن هو هنا بوجه وحال وخلق وكلام، وهو هناك بوجه وحال وخلق وكلام، حياته تمثيل، ودينه تبطيل، وظاهره تدجيل، وباطنه تخبيل، وهو في كل ذلك علة بلا تعليل.

ألا وإنه لا يزال هناك وهنا رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه، أولئك هم أولو البقية الذين ينهون عن الفساد في الأرض، ولا يلبسون الحق بالباطل، ولا يكتمون الحق وهم يعلمون،

ولولا هؤلاء لما نظر الله إلى الخلق برحمته، ولما أصابهم وابلُ فضله ونعمتـه، ولأحاطهـم بعوامل غضبـه ونقمته، وهـو القاهر فوق عباده، وهو الحكيم الخبير.

وأنا مشـفِقٌ عليـك والله من محيطك، ومُقَـدِّرٌ فتنتك به، قال بعـض المفسرين: عند قوله تعالي عن هدهد سـليمان ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ ﴾ [النمـل: ٢١]: إنّ العـذاب الشـديد الذي يفوق الذبح في الألم هو أن ينتف ريشـه، ثُمّ يجعله في محيط لا يفهمه، فأنا مشفِقٌ عليك لذلك، ولكن سرَّني أن تقول:

ومـا أنـا منهمـو بالعيـش فيهـم

ولكـن معـدن الذهـب الـتراب!

بقـي أن أسـالك بـالله ألا تتحرج مـن أن تدلنـي على بعض عيـوبي، فأنـا بـشرٌ، وكُلُّ ابن آدم خطـاء، ولا يتأفف مـن الواقع إلا شـيطان، ألا تـرى إلى عمـر بـن الخطـاب وهو أمـير المؤمنين (وامبراطور الإسـلام) يقف في المسـجد طالباً أن يقوِّم المسلمون اعوجاجه، فيرد عليه مسلم حر، فيحمد عمر ربّه على أن وجد في

المسـلمين من يقوِّم اعوجاجه بالسيف، تأمّل، وقارن، فإني أحبُّ أن أكـون مـن أهل هذه السُّـنّة المبرورة، ألم يقل المسـيح: من كان منكم بغير خطيئة فليرجم الزانية ؟!

(٩)

يـا ولدي: كان أحـد الصّالحين مسـتجاب الدعـوة، فخطر له أن يسـأل الله أن يكشـف له بعض مشـاهير النّـاس مِنْ رفاقه، فلـما ذهـب إليهم في صـلاة الفجر إذا به يراهم عـلي صور القردة والخنازيـر، فخطـر لـه: لمـاذا لا يكون فيهـم مَنْ هو عـلى صورة الكلـب؟ فإذا به يسـتمع النداء الروحي مـن ذاته: ليس فيهم من هو على صورة الكلب، لأنه ليس فيهم رجل وفي !!

فإذا كان هذا - يا ولدي - شأن بعض المشاهير من المحافظين على صلاة الفجر، فكيف تأسى على انعدام الوفاء فيمن هم دونهم بمراحل؟!

فعليك إذنْ ألا تسـف أو تغلو، بل **أحبب حبيبك هوناً ما**،

وأبغض بغيضك هوناً ما [1]، واترك في الكأس بقية لغد، فأنت لا تـدري مـاذا يقضي الله فيه، وإن أبعد النّـاس من الله في الدُّنيا والآخرة الألد الخصم، وكن رجل مبدأ، تدور في فلكه، تبشيراً به وكفاحاً دون حياضه، وإيّاك والتعرض للشخصيات فتسقط هاويـاً، وإن خيلـت لـك نشـوة النهـش والتمزيق أنـك ترقى صاعـداً، ففـي النّاس عقول وفهـوم، ولهم ذكريـاتٌ وعندهم موازيـن، ولـن يتجرع قولـك كله كما هو إلا مجنـون، وقليلٌ في الناس المجانين، أليس كذلك؟!

ثُمّ إيّاك أن تنحط إلى مستوى مَنْ يتعرض لشخصك فترفعه إلى مسـتواك فتكرمـه، ولكن كـما قال القـرآن ﴿ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ ﴾ [الزخرف: ٨٩].

---

(١) روى الترمـذي (١٩٩٧) عـن أبي هريرة رضي الله عنه - أراه رفعه -: « **أَحْبِـبْ حَبِيبَـكَ هَوْنًا ما عَسَـى أنْ يَكُـونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مـا، وأَبْغِضْ بَغِيضَـكَ هَوْنًـا ما عَسَـى أَنْ يَكُـونَ حَبِيبَـكَ يَوْمًا مَا** ». قـال الترمذي: غريـب، قال الحافـظ العراقـي في تخريـج أحاديث الإحيـاء: « رجاله رجال مسـلم لكـن الراوي تردد في رفعـه ». وروي عن عليٍّ رضي الله عنه من قوله.

واعلـم أن محاولـة إرهـاب النّاس بالتشـهير بهم، والتشـنيع عليهـم، وتلفيـق التهم والإشـاعات وإطلاقها حولهـم، انتصاراً لرأي على رأي، إنما هو إسفافٌ يجافي كل الأخلاقيات، فإنما يدفع الـرأي بالرأي، وتقرع الحجـة بالحجة، وحرية الـرأي والاعتقاد مكفولةٌ قانوناً وديناً.

أليـس قـد اختلف الصحابـة في الـرأي وبينهم رسـول الله ﷺ والوحـي ينـزل ؟! ألا تذكـر قصّة صلاة العصر في بنـي قريظة ؟! ثم هلا سمعت تنديد الرئيس جمال بحرب التشهير والتكتل والشلل!!

إنّ اللجوء إلى سـلاح التهديد والإرهاب والتشهير ومحاكم التفتيش والكهنوت في القضاء على حرية الرأي والاعتقاد، فوق أنه عين العجز، هو السلاح الخطير الذي ينفجر في وجه صاحبه، ويجرده من ثقة النّاس في علمه وخلقه وكفايته.

والله - **يـا ولدي** - إني أكتب إليك، وهـذا هو القارئ يرتل قوله تعـالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ [القمـر: ٤٤ - ٤٦]، نعم قد يعلو الباطل، ولكن إلى أجل قريب !

(١٠)

يا ولـدي: أظننـي الآن أجبتُك على أكثر ما جـاء بخطابك، وأشركت معك سـادتي وإخواني وأبنائي، فمـن كان منهم عالماً بما قلت فتذكره، ومَنْ كان غير ذلك فتبصره.

أمّـا ما بقي من كتابـك - **يا ولدي** - فدعـه لله، وتأمّل قوله تعـالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ ﴾ [الأنعـام: ٤٤]، وقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ [الحشر: ٢].

هدانا الله وهداك إلى سواء الصراط.

محمد زكي إبراهيم

[القاهرة: مستشفى عين شمس]

لا إله إلا اللّه [1]

وهـذا سـؤال طويل أيضاً حـول التوحيد الصـوفي، وقول: « **لا إله إلا الله** ».

*** والجـواب:**

يـا بنـي: إنّك عالـمٌ بمقتـضى ورقَـةٍ أسـقطها الله إليك من شجرة الرسمية التي لا تبصر ولا تعي، شجرة الرسمية المحكومة بالامتحان الإلهي، الذي لا تترتب أحكامه على مقتضى مفاهيمنا وأقيسـتنا، ولكنه يمضي على سـنته الغيبية، وسر حكمته المسـتور المسـمّى بيننا بالحظ والمكتوب، ولهذا كان وزننا نحن للشهادات الرسـمية وزناً قد لا يرضى عنه الكثير من عبيدها وعبّادها، فلك فهمـك على مقتـضى علمك المؤيّد بالشـهادة الرسـمية، أمّا نحن الصُّوفية فاسمع ما نقول فيما تسأل عنه ملخصاً:

إنّ الحق تعالى ثابت قبل إثبات المُثْبِت، ومَنْ كان ثابتاً بنفسه

(١) مجلة المسلم، السـنة التاسعة، العددان الثالث والرابع، غرة ذي القعدة (١٣٧٨هـ)، ٩ مايو (١٩٥٩م).

فهـو غير محتاج إلى إثبات أحد، إذ ما ثَـمَّ مَنْ ثبتت له الألوهية في الخلق حتى تنفيها عنه، فقول: (**لا إله إلا الله**)، إنما يريد بها الصّوفي المؤمن مجرد ترديد التأكيد، مع رجاء ثواب التلاوة، ومتعة القلب بالتحقق والاندماج في أغوار المعنى الأقدس.

هل فهمت أين نحن؟! فاللت والعجن القشري السـطحي الأحمـق، والتقليـد القـردي الببغـاوي المنقول المكـرور في قضية الـشرك والتوحيـد عنـد المسـلم، وقصـة الفـرق بـين الربوبيـة والألوهية، ومسرحية الشـفاعة والوسيلة ... إلخ؛ ضع كل ذلك بتفاصيلـه وجزئياته، وملحقاته وتوابعه وأهدافه في كفّة، والمعنى الـذي قررتـه لك في « **لا إله إلا الله** » في كفّة، فلن ترى يا صاحب الشـهادات العُلى، إلا أنك كنـتَ تلميذًا مغرورًا، وأنّك في حاجة إلى أن تعلـم مـا لم تكـن تعلم مِنْ علـم الصوفية، حتّـى تدرك أن نظريـة واحدة من نظرياتهم، كتلك التي أسـلفنا لا ينهض أمامها كل مـا كتب السّـابقون مِنْ لغط وغلط، يحسـبه المسـاكين وحده الصحيح، وسلامٌ عليْكَ يوم تعرف تصوف أهل الحق فتلتمسه، فتكون أرقى وأنقى وأبقى وأتقى.

أمّـا محيـي الديـن – الذي تستشـهد بالنقـل عنه – فقـد قَرّر عقيدتـه في أكثر مـن كتاب مما كتب، وأكّد أنها عقيدة أهل السُّـنة والجماعة، وهو الذي يقول:

سـائلي عـن عقيـدتي أحسـن الله ظـنّـه

شـــهـد الله أنــهـا شـــهد الله أنـــه

فهـو يُشـهد الله عـلى أن عقيدته تـدور في فلك قولـه تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [آل عمران: ١٨] فماذا تريدون منه بعد؟

أمّا إن بعض النّاس لم يفهم مراده فيما عبر به، فليس هذا ذنب محيي الدين، ولكنـه ذنب الجهل بعلم محيي الدين، وذنب العمى عن كشـف محيي الدين، وذنب العجز عـن إدراك محيي الدين .. دخـل ثعلب يوما أحد الكروم، وكلـما أعجبه عنقود وَهَمَّ بقطفه ضعـف وعجـز، فيتركه قائـلاً « هـذا عنقود حامـض »، وهكذا حتى انتهى إلى جدار الكرم دون أن يصيب شـيئاً، فذهب إلى أُمّة الثعالـب صاخبـاً صائحـاً: « ألا فاعلموا أنني قـد خبرت الكرم

الفـلاني عنقـوداً عنقـوداً، فلـم أجـد به عنقـوداً غـير حامض »، وثعلب الإنسان كثعلب الحيوان، غير أننا نسمي ثعالب الإنسان متمسلفة.

وبعــد: فإنّ لنا في معاملاتنا العادية دليل جليل، فهل يفهم الطبيب اصطلاح المهندس؟ أو يفهم المهندس اصطلاح الطبيب؟ حين يعبر كل منهم عن آلاته ومسميات فنه، ومصطلحات مهنته، عـلى أن كليهـما مـن ثقافة عاليـة مقـررة، فكيف إذا قـرأ الحوذي (العربجي) كتاباً في علم الذرة والصواريخ؟ أو أقام نفسـه حكماً على نظرية النسبية يجادل علامة الطبيعة أينشتاين؟

إنّ للصوفيـين اصطلاحاتهم التي قامـت بعض الشيء مقام العبـارة في تصوير مدركاتهـم ومواجيدهم، حـين عجزت اللغة عـن ذلك، فلا يفهم الصـوفي إلا الصوفي، فالتصـوف علم وفن وإدراك ونـور، فالصّـوفي إذا قرأ ما تعيبه أنت - إذا صح النقل - من نحو قول بعضهم مثلاً: « خلق الله الأشـياء وهو عينها أو هو حقيقتهـا »، فهم الصوفي على الفور أن المراد أنه قيومها ومفيضها مـن العـدم، والمتجلي عليها بمراده منها، إذ أنهـا في ذاتها فانية من

قبل ومن بعد، لأنّه لا قيومية لها من ذاتها، ففي العدم كانت وإلى العدم ستصير، ولن يبقى إلا قيومها سبحانه « **كان الله، ولا شيء معه** »[1]، وهو الآن على ما عليه كان[2]، وليس في هذا وحدة وجود بالمعنى الوثني الحلولي المكفور أبداً، فالأكوان جميعاً مادتها العدم، وقد انتقلت بالقيومية الأزلية من العدم المستور إلى العدم المنظور، ومتى ما استنفذت نصيبها المقرر من التمتع بالقيومية

---

(١) في البخاري (١٩٣٧٤): « **كانَ اللهُ ولَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ** »، وفيه (٣١٩٢): « **كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ** »:وهو بمعنى: « كان الله ولا شيء معه ».

(٢) هذه اللفظة « وهو الآن على ما عليه كان » ليست حديثاً عن النبيّ ﷺ، وإنما هي من كلام أهل العلم في كتبهم، ولها معنى صحيح ومعنى باطل، أمّا الصحيح فهو أن الله سبحانه لم يزل منفرداً بنفسه عن خلقه، ليس مخالطاً لهم، ولا حالاً فيهم، ولا ممازجاً لهم، بل هو بائنٌ عنهم بذاته وصفاته، كما قال الإمام الغزالي رحمه الله في قواعد العقائد (٥٣): « وأنه لا يَحُلُّ في شيء، ولا يحل فيه شيء، تعالى عن أن يحويه مكانٌ، كما تقدَّس عن أن يَحُدَّهُ زمانٌ، بل كان قبل أن خلَقَ الزمانَ والمكانَ، وهو الآن على ما عليه كان ». وأمّا معناها الباطل: فقول بعض الاتحادية: وهو الآن على ما عليه كان، أي ليس معه غيره، فهذه المخلوقات متحدة به، هو هي، وهي هو، تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً.

عادت إلى مادتها الأصلية إلى العدم، ولا شَكَّ أن ما بين العدمين عدم [١]؛ فلم يبق إلا الله في قداسة تجليات صفاته وآثارها [٢]، أعني هذه الصورة الكونية الفانية في الواقع والطبيعة ونفس الأمر كما رأيت.

أمّا قول القائل: (أنا الله)، فهو ساعتئذ إمّا في حالة جذب

---

(١) هذا كلامٌ اصطلاحي يفرِّق به الشيخ رحمه الله تعالى بين وجود الحق سبحانه وتعالى القديم الأزلي، الذي لا يفتقر إلى موجد، ووجود المخلوق الحادث.

(٢) شهوداً لتلك المعاني. فنفى وجوداً يشبه وجود الله تعالى، وأثبت وجوداً هو أثر صفات الله تعالى. وقد شرح هذه الصورة ابن القيِّم رحمه الله في مدارج السالكين (٣/ ٣٦٤) فقال: « وأمّا الشيخ وأرباب الفناء: فقد يعنون معنى آخر أخص من ذلك، وهو المشار إليه بقوله « لا يناسم رسمك سبقه » أي: لا ترى أنك معه، بل تراه وحده، ولهذا قال: فتسقط الشهادات، وتبطل العبارات، وتفنى الإشارات، يعني: أنك إذا لم تشهد معه غيره، وأسقطت الغير من الشهود، لا من الوجود، بخلاف ما يقول الملحد الاتحادي: إنك تسقط الغير شهوداً ووجوداً، سقطت الشهادات والعبارات والإشارات ؛ لأنها صفات العبد المحدث المخلوق، والفناء يوجب إسقاطها. والمعنى: أن الواصل إلى هذا المقام لا يرى مع الحق سواه، فيمحو السوى في شهوده، وعند الملحد يمحوه من الوجود، والله أعلم وهو الموفق ». انتهى.

وغيبوبـة، فـلا تعليـق لنا على قـول مُغَيَّـبٍ مأخوذ، رفـع الشّرع والعقـل عنه القلم، ولا يحكم عليه باستحسـان ولا اسـتهجان، وإمّـا في حالـة إدراك فهو ناظـرٌ إلى المعنى الذي أسـلفنا، إذ ما في الكون من موجود مسـتقل بالقيومية إلا هو سـبحانه، وأمّا غيره فهـو موجود به تعالى، والموجود بغيره لا وجود له[1] ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ [الحديـد: ٣]، وإمّـا في حالـة فنـاء فهـو يتحَدّث عن لسان الحق جَلّ وعلا، كما نجد ذلك كثيراً في أشعار وأخبار بعض السّادة من أئمة القوم وغيرهم رضي الله عنهم.

وفي حياتنا العادية كثيراً ما يتحدَّث الإنسـان عن لسان حال سـواه ممن يعقل أو لا يعقل، فالكلام على لسـان الحـق تعالى أمرٌ عادي، ويا لطالما نسـمعه مِنْ وعاظنا عـلى المنابر وحلق الدرس، فكيف يسوغ هناك ولا يسوغ هنا.

وإني أحيلـك إلى مـا كتبه ابـن تيمية في الرسـائل وابن القيم في « المدارج » عن معنى الفناء الصوفي وحقيقته، وهما الشـيخان اللـذان كنـت ترجع إليهما فيـما كتبتَ إليّ، وسـترى - **يا ولدي** - أن الله أنطقهما في هذا المقام بفيض لم يخطر على قلم صوفي سابق.

---

(١) أي: مِنْ نفسه.

مخلفات السيد البدوي [1]

ومن الأشـياء التي لا يعرفها التصوف الإسـلامي أن يدَّعي بعضهم أنّ لبعض أولياء الله مخلفات شاذة تختلف عما ألفه النّاس مـن مثلها، وقد جاء هذا من مبالغات جهلة الأتباع، وانتحالات بعض الماكرين المبطلين، الذين يندسون في غمار طوائف الصّالحين لغرض أو لآخر يعلمه الله .

ولا شـك أنّ هـذه التصرفـات والنسـب مما لا يقبلـه عقل ولا شريعـة ولا تصـوف، ولا يرضـاه حي ولا ميـت، وإنما إثمه على من ابتدعه .

ففي المخلفات المنسوبة كذبًا وزورًا إلى السيد البدوي – والله يشهد أنّ السيد البدوي منها بريء كل البراءة – هذا الدلق المرقع الـذي يزن مئـات الأرطال، ولـو كان هذا مما يلبسـه – رضي الله عنـه – ما اسـتطاع أن يقـوم إلى صلاة، ولا أن يلقـي درس علم، ولا أن يذهب إلى جهاد في الله يحارب الصليبيين.

---

(١) مجلـة المسـلم، السـنة الثانية عشرة، العدد السـادس، غرة المحرم سـنة (١٣٨٢هـ)، ٤ يونية سنة (١٩٦٢م)، كلمة الرائد.

وهذه المسبحة الضخمة يبرأ منها السيد البدوي كل البراءة، ولا أعرف إلا أنها مدسوسة عليه شأن مجموعة الأحجبة الخرافية المنتحلة عليه سواء بسواء، وإن العالم بسيرة السيد البدوي وفقهه بدينه وأدبه وترفعه، واعتداده بنفســه لا يطيق أبدًا أن تنسب هذه القمامـات إلى هذا الإمـام، يُتَّهم بها في علمـه وفي دعوته وفي دينه وفي عقله، ثم يعود أثرها زورًا على التصوف المظلوم .

وإن أنكد المناكد، وأنكر المناكر أن يُتهم هذا الإمام العظيم بالقذر والتوسـخ حتـى يكون له «مهـراش» في مخلفاته، يدعي الجهلة والبله – بل الخبثاء– أنه كان يحك به جلده، الأمر الذي تأباه نظافة الإسـلام، وتأباه الإنسـانية الصوفيـة، والأمر الذي لا يجـري في عقـل عاقل، ولا يسـلم به عالم بتاريـخ هذا الإمام النظيف المحتاط.

ويلحـق بهذا المنكر تلـك العمامة الهائلة المدعـاة عليه، حتى كأنه لم يكن إنسـانًا في عالم الحقيقة، وإنما كان أسطورة خرافية من أساطير خيال شهرزاد في إحدى ليالي ألف ليلة.

يا ولدي:

لقـد كان الإمام أحمد البدوي داعية عالمًـا عارفًا زعيمًا وطنيًّا وروحيًّـا وعسـكريًّا، وكان الملوك الأيوبيون يذهبـون إلى زيارته تبركاً به، وكانت له مشـاركات فعلية في حروب الصليبيين، شأنه شـأن الإمام أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنهما، وشأن بقية علماء العصر من الصّوفية، كالعز ابن عبد السّلام، ومكين الدين، وابن الرفعة، وابن الصّلاح، ومن غير الصوفيين كابن تيمية ومن والاه، ولم يكن العهد نفسه يسمح بالتخريف ولا بالمخرقة، ولا بتغفيل خلق الله، ولم يكن في الوقت سعة للهزل والألعبانية.

والذين ادعوا زورًا وكذبًا، أو خبثًا ولؤماً، أو بلاهة وخرفاً، أن هذا الشـيخ كان يأكل في الوجبة عجـلاً أو بقرة، مع المعروف من زهده وتقشفه، لا يبعد عليهم أن يمعنوا فيما هم فيه، فيدسون هذه المخلفات المضحكة، وينسـبونها - افـتراءً على الله - إلى هذا الإمام العظيم .

فمتـى يتنبـه المسئولون إلى هــذه المخابـث، ويعملون على إزالتها وإظهار الحقيقة فيها، وتبرئة الأئمة مما يرميهم به المضللون،

حتى لا يجد خصوم أولياء الله طريقًا إلى اغتمازهم، ولا مذهبًا إلى طعنهم، وهم من كل هذه الصغائر براء، فاليقظة اليقظة يا سادة، اليقظة قبل أن تغرقوا في النوم، وإذا غرقتم فلن ينشلكم أحد، وأيضاً بلغت، اللهم فاشهد .

حديث (حُجُّوا) [١]

يوشك أنْ يكون هذا الحديث - رغم ما حوله من مقال - من أصدق أعلام النبوة، فقد صوَّر الأمر الواقع اليوم أبلغ تصوير، وقد رواه أبو نعيم والبيهقي والخطيب، وغيرهم ونصُّه: **« حُجُّوا قبل ألا تَحُجُّوا، يقعدُ أعرابُها على أذنابِ أوديتها، فلا يصل إلى الحجِّ أحد »**[٢].

(١) مجلة المسلم، السنة الثالثة عشرة، العدد الثاني عشر، غرة رجب (١٣٨٣هـ)، ١٧ نوفمبر (١٩٦٣م)، كلمة الرائد.

(٢) رواه أبو نعيم في أخبار أصبهان (٢/ ٣٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٣٤٠)، والخطيب البغدادي في تلخيص المتشابه (١/ ١٩٤). ورواه أيضاً الدارقطني في سننه (٣/ ٣٧٧).
قال المناوي في فيض القدير (٣/ ٤٩٧): « قال الذهبي في المهذب:=

ولا بـأس عليـك - **يـا ولـدي** - أن تقـول بـه ؛ فقـد روى الترمـذيُّ وابن ماجـه، والحاكـم، والطيالـسيُّ، والقضاعي، عنه صلى الله عليه وآله وسـلم قال: « **لا يمنعـن رجلاً هيبةُ النّاس أن يقول بحق، إذا علمه أو شهده أو سمعه** »[1].

= إسـناده واه . اهــ ، ورواه الدارقطنـي باللفظ المزبـور عن أبي هريرة المذكـور، وتعقبـه مختصره الغرياني بأن فيه عبد الله بن عيسـى بن يحيى شـيخ لعبد الـرزاق مجهول، ومحمد بـن أبي محمد مجهـول، وأورده ابن الجوزي في العلل، وجعل علته جهالة محمد بن أبي محمد».

هـذا، وقد صح مـن حديث ابن عمر، عن النبي ﷺ: « **اسـتمتعوا من هـذا البيـت، فإنه قد هـدم مرتين، ويرفـع في الثالثـة** ». أخرجه الحاكم (١/ ٦٠٨) وصححه ووافقه الذهبي ، وابن خزيمة (٤/ ١٢٨)، وابن حبان (١٥/ ١٥٣)، وأبو نعيم فى تاريخ أصبهان (١/ ٢٠٣).

(١) رواه الترمذي (٢١٩١)، وابن ماجه (١٠٦٣٤)، والحاكم (٤/ ٥٠٦)، والطيالسي (٢١٥٦)، والقضاعي في مسند الشهاب (٩٤٥). وأحمد في مسنده (٣/ ١٩، ٥٠، ٦١).

ورثة الكتاب المصطفون[1]

في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [فاطر:٣٢].

ولا شك أنَّ في الآية بشارةً كبرى لأهل القبلة جميعاً، إنْ قلنا على التعميم: إنهم المصطفون لوراثة الكتاب.

وفيها بشارة لخاصتهم، إنْ قلنا: إنهم وحدهم المقصودون بالآية.

والظالم لنفسه عند أكثر أهل الظاهر: هو مرتكب الصغائر، غير عامد ولا مُصِرّ، **والمقتصد**: هو المكتفي بأصول الطاعات، **والسابق**: هو المفرغ طوق جهده في استرضاء الحق تعالى.

وعند أكثر الصوفية: الظالم لنفسه: هو الواقف عند ظاهر الأمر، فلا يحاول أن يتحقق بأسراره، **والمقتصد**: هو الواقف

(١) مجلة المسلم، السنة الثالثة عشرة، العدد الثاني عشر، غرة رجب (١٣٨٣هـ)، ١٧ نوفمبر (١٩٦٣م)، كلمة الرائد.

عنـد الظاهر مع الانفعـال أحيانًا بالحقائق والأسرار، **والسـابق**: هـو الجامع بين أمر الظاهر وسر الباطـن بكل ما أطاق واحتمل، **فالأول المبتدي، والثاني السالك، والثالث المنتهي**.

ويقـول أئمتنـا: الشريعـة أن تعبـده، والطريقـة أن تقصده، والحقيقة أن تشهده!!

فالظـالم لنفسـه عندهـم: مَـنْ وقـف عنـد حـد الشَّريعــة، **والمقتصـد**: مَنْ وقف عند حد الطريقة، **والسابق**: مَنْ أدرك مقام الحقيقة.

وذلـك أنَّ **الشريعـة** أصلهـا الأقـوال، **والطريقـة** أصلهـا الأفعـال، **والحقيقة** أصلها الأحوال، وكل منهـا كالأم لما بعدها، لا تكون إلا منها.

فالشّريعة عمل الأجسام، **والطريقة** عمل القلوب، **والحقيقة** عمل الأرواح، فهي بالترتيب **علم وعمل وحال**.

ثـم إنَّ الحال عندهم غير المقام، فالحال عارض زائل، والمقام وصـف دائم، والحـال غير مسـبَّبٍ بمجاهدة، ولكـن المقام ثمرة

لجـد ومجهـود، والأحـوال تحـول وتتحـول، والمقامـات لا تزول ولا تتزلزل، وهكذا تكون الأحوال مواهب للاهتداء، والمقامات مكاسب للاقتداء، والفضل بيد الله يؤتيه مَنْ يشاء.

الخالق ومخلوقاته:

الفقهاء يستدلون بالخلـق على وجود الخالـق؛ إذ لابد لكل فعل مِنْ فاعل، ولكل أثر مِنْ مؤثر، ولكل صنعة مِنْ صانع.

والصّوفيـة يسـتدلون بالخالـق عـلى وجـود الخلـق ؛ فإنّـه لا يُسـتدل عـلى الحق عندهـم من طريـق الباطل، ولكـن يُعرف الباطل إذا عُرِف الحق.

فرؤية الفعل قبل الفاعل مقام العامة عقلاً وتوثيقاً، ورؤية الفاعل قبل الفعل مقام الخاصة شهوداً وتحقيقاً، وليسوا سواء، فالمستدلّ به عرفه فجعله دليله، والمستدلّ عليه باحث عنه ما له من حيلة، فـإن مَن لم يعرف الطريق إليه معذورٌ في البحث عمّا يدلّ عليه.

أؤلئـك عرفوه بالبرهان، وهؤلاء عرفوه بالعيان، وشـتَّان بين مَنْ يسـتدل به عليه في مقام اليقين والشـهود، ومَنْ يسـتدل عليـه بغيره من مقام الحجب والقعــود، متى غاب حتى يحتاج إلى دليـل عليـه، ومتى بَعُـد حتى نبحث عـما يوصل إليه، وهل في الوجـود غيره حتى يقال: أين هو، أو يقام الدليل على ما هو أهله، غفرانك ربنا وإليك المصير.

« العشيرةُ تبدأ بإصلاح الفرد، وذلك بإصلاح قلبه، وصلحه عـلى ربّه، وعلاج نفسـياته وأخلاقـه وروحانياته وجسـمانياته، حتى يتخلى عن كل دني، ويتحلى بكل سـني، وسـبيل كل ذلك عبـادة الله على علم، فالعبادة أساسًـا: أصل الفضيلة، والفضيلة أصل المجد، مجد الدنيا والآخرة. ولفقه أصول العبادة والفضيلة والمجد مقتضيات وثمرات تشـمل كل جوانب الحياة الفاضلة، الحـسي منها والمعنوي سـواء، وتلكم هـي الربانية الإسـلامية، وهي التي نسـميها « طلـب الكمال »، وهـي التصوف الشرعي الحق الذي ندعو إليه » (الإمام الرائد)

شيوخ التصوف والفرس والعرب(1)

(أ) بـم تعلـل فضيلتكم كون شـيوخ التصوف مـن الفرس وأحفاد المجوس، في العصر الإسلامي؟

(ب) وكيـف تعلـل ازدهـار التصوف في القرن السـابع وما بعده بين العرب والمنتسبين إلى رسول الله ﷺ ؟

*** الجواب :**

(أ) ليتك - **يا ولدي** - لم توجه إليّ هذا السـؤال العنصري، الـذي لا يرضـاه الله ولا رسـوله، أو لم تقـرأ قولـه تعـالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجـرات: ١٣]، وقولـه تعـالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الحجـرات: ١٠]، وقولـه ﷺ: « **لا فضـل لأبيض على أحمر، ولا لعربي على عجمي إلاَّ بالتقوى** »(2)، وقوله ﷺ: « **إنّ الله عـز وجـل قد أذهبَ عنكم عُبِّيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ، وفَخْرَها بالآباءِ؛ مؤمِنٌ تَقِيٌّ، وفاجرٌ شقيٌّ، أنتم لآدم، وآدمُ مِن تراب** »(3)،

(١) راجع أبجدية التصوف الإسلامي، لشيخنا الإمام الرائد.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٤١١).

(٣) رواه أحمد (٢/ ٥٢٣)، وأبو داود (٥١١٦)، والترمذي (٣٢٧٠).

وقوله ﷺ وقـد تمعَّر وجهه غضبًا: « **ليدعن أقوامُ فخرهم بأقوام إنـما هــم حطب من حطب جهنــم، أو ليكونــنَّ أهــونَ على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن** »[1].

ألم يأتـك أن سـيدنا رسـول الله ﷺ ألحـق به سـيدنا سـلمان الفارسي، فقال: « **سلمان مِنَّا أهل البيت** »[2]، ألم يرسل الله رسوله ﷺ للنّاس كافة بشيراً ونذيراً ؟!

إنهـا حَمِيَّةُ الجاهليـة، يرددها ببغاوات البـشر، بلا تدبر، ولا بينة، وهل جاء الإسلام للعرب وحدهم، فاغتصبه منهم غيرهم، فأصبحوا منبوذين؟!

لِـمَ هـذه الشـعوبية، والعنصريـة الكريهـة، التـي ينكرهـا الإسلام، وتنكرها الإنسانية الشريفة ؟!

أليس الإمام البخاري، والترمذي، والنسـائي، وابن ماجه، والطبراني، والبيهقي، والأكثرية الغالبة من رجال الحديث، كلهم

---

(١) هو تتمة الحديث السابق.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٣ / ٥٩٥)، والطبراني في الكبير (٦/ ٢١٣).

مـن غير العرب. وكذلك طائفة من أكبر المفسرين، كالزمخشري، والنيسـابوري. وطائفـة مـن أكـبر علـماء البلاغـة، كالجرجاني، والتفتازاني ؟!

مَنْ هو طارق بن زياد، وموسـى بن نصير ؟! هذان المَوليان القائدان الفاتحان، اللذان أسسـا للإسلام مجدًا تاريخياً، لا يمحوه الزمان !!

من هو أبو حنيفة النعمان ؟! أليس كان من الموالي، ولولاه ما كان لبني تيم الله ذكر ولا فخر !!

يا ولدي: إمامُ مصر الليثُ بن سـعد، أصله من (أصبهان)، إمام أهل السـنة أحمد بن حنبل، أصله من (مَرْو)، والإمام المفسر الطـبري، أصلـه مـن (طبرسـتان)، والشـعبي علّامـة التابعـين وإمامهـم، كانت أمه من (جلولاء)، والحسـن البصري الكوكب الفرد، كان أبوه من (مَيسانَ).

وهذا علّامة اللغة سيبويه، فارسي الأصل، والإمام الكسائي فخـر اللغة العربية، أصله من فارس، وتلميذه الإمام الفَرَّاء ، من

الديلم، ثُمَّ إن ابن مسكويه، وابن سينا، والفارابي، كانوا فُرسا أعجمين.

اسمع يا ولدي: فقيه مكة عطاء بن رباح، وفقيه اليمن طاووس بن كيسان، وفقيه اليمامة يحيى بن أبي كثير، وفقيه الشام مكحول، وفقيه الجزيرة ميمون بن مهران، وفقيه خراسان الضحاك بن مزاحم، وفقيها البصرة والكوفة إبراهيم النخعي وابن سيرين، كُلُّ أولئك ليسوا من العرب أصلاً، ولكنهم برّزوا في جوانب العلم والفكر والمعرفة والدِّين؛ كانوا الأئمة بكل ما في اللفظ من معنى يتجدد ولا يفنى.

إنما يتفاضل النّاس بالأحلام[1] لا بالأرحام، والنّاس عند الله سواسية كأسنان المشط، والله يقول: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، ولقد أمر رسول الله ﷺ أسامة بن زيد (مولاه) على جيش كان فيه أبو بكر وعمر، وعندما أراد عمر أن يستخلف قال: « **لو كان سالمُ مولى حذيفة حيّاً لولَّيتُه** »[2] !!

(١) الأحلام: العقول.

(٢) انظر: الاستيعاب (٢/ ١٣٦).

تأمّل هذا الموقف الكبير الخطير.

يا ولدي: ها هم أهل العلم! لا يكادون يذكرون ابن عمر، إلا ذكروا معه مولاه نافعاً، ولا يكاد يُذْكَر أنس بن مالك ، إلاّ ومعه مولاه ابن سيرين، ولا يكاد يذكر ابن عبّاس، إلا ومعه مولاه عكرمة، ولا يكاد يذكر أبوهريرة، إلاَّ ومعه مولاه ابن هرمز، رضي الله عنهم جميعاً، وما أكثر هذه الأمثلة في الإسلام.

لقد أطلتُ عليك عامدًا في هذا المجال- **يا ولدي** -؛ فإنّ هذه الشعوبية هي التي كانت مسمار النعش في وحدة الإسلام، والتي انتهت بما يسمى زورًا بـ (النهضة العربية)، وهي التي قصمت ظهر الخلافة، وشتتت العرب أوزاعاً وشيعاً ودويلات هزيلة متناحرة باسم العروبة، والقومية، التي تُستخدم الآن بلا وعي ولا تدبر .

ولنرجع إلى سؤالك في تعليل كون بعض شيوخ الصوفية الأوائل من الفرس، فهؤلاء النّاس اجتهدوا في هذا الجانب، كما اجتهد غيرهم ممن ذكرنا أسماءهم، فاستحقوا التقديم والإمامة

كمسلمين، **فإذا قيل: إنهم فعلوا ذلك ليحطموا الإسلام من الداخل، فهذه قضية إذا فرضنا نهوض دليلها في واحد، فلن ينهض هذا الدليل في كل واحد**، وفي كُلِّ طائفة طيِّب وخبيث، والحلال بين والحرام بين، ولو طبقنا قاعدة سوء الظن بالفرس، أو بغير العرب عموماً، لأذهبنا ثلثي علوم الإسلام، ولكان أول ما ننبذه كتاب البخاري، ومَن والاه، فهل هذا منطقٌ يقول به إنسان سوي أو قاض منصف؟ ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [المطففين:٤، ٥]، أوَ لا يذكرون قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ﴾ [ص:٦٢].

إنّ من أحفاد المجوس مَن خدم الإسلام أصدق الخدمات في الثقافات والعلوم، والفتوحات والفنون، وراجع إن شئت من حضرنا ذكرهم وأسلفناه، ومن ورائهم صف شريف طويل معروف، لم نشر إليه.

(ب) أمّا تعليل ازدهار التصوف في القرن السابع وما بعده بين العرب، والمنسوبين بحق أو بباطل إلى رسول الله ﷺ، فإنَّ هذا السُّؤال يحتاج إلى تكملة، هي أنَّ هذا الازدهار في هذا القرن وما

قبله كان بين العرب وغيرهم، وكان هذا نتيجةً لطبيعة الأشـياء ؛ فـإنَّ تطور الدَّعـوة الصُّوفيـة وامتدادها، كان قد أهَّـلَ الكثيرين للزعامـة والاجتهـاد في هذا الوقت كثمـرة للتفاعل والتطور فيما سـبق هـذا الزمان، فمثـلاً نجدُ مِنْ صُوفيـة القرن السّـابع أمثال أبي الحسن الشاذلي، وأحمد البدوي، وابن دقيقِ العيد، ومجد الدين القشيري، وزكي الدين المنذري.

ونجد مِنْ قبلهم في القرن السادس أمثالَ أحمد الرفاعيِّ وأبي مدين.

ونجـد في القرن الخامـس أمثال الغزالي، وعبـد القادر، وفي الثالـث والرابـع أمثـال الجنيد والشـبلى، ومـن قبلهـم ذو النون المـصري، وأبـو يزيـد، ومـن قبلهـم الحسـن البصري، وسـفيان الثـوري، ومالـك بن دينـار، وإبراهيم بـن أدهـم، والفضيل بن عياض، وشـقيق البلخي، وحاتـم الأصم - بكل ما في تواريخهم من صدق وكذب، وأصيل ودخيل.

أضـف إلى موضوع التطور والامتـداد، قابلية البيئة، بما كان مـن الحـروب الصليبية والتتريـة والمغولية، واضطـراب عاصمة

الخلافـة ببغداد، ومثل هذه الظروف بطبعهـا تدفع النّاس إلى الله تلقائيًّا، وقد جربنا نحن أخيراً في العاشر من رمضان.

مـن أجل هـذا وما هو منه، أو يتعلق بـه، كان هذا الازدهار الذي تشير إليه.

ضرورة وجود الشيخ المرشد[1]

س: يقـول الصُّوفيـة بضرورة وجود الشـيخ لتوصيل المريد إلى ربِّه، ويقولون: (مَنْ لا شـيخ له فالشـيطان شـيخه) فهل هـذا صحيح؟

*** الجواب:**

يا ولـدي: الصُّوفية في هـذا يصدرون عن صحيـح الشريعة، وصحيح الطبيعة، وصحيح التجربة، وصحيح الممارسة والواقع.

أمَّـا الشريعـة فـالله تعـالى يقـول: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحـل: ٤٣]. ويقـول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ

(١) راجع أبجدية التصوف الإسلامي، لشيخنا الإمام الرائد.

خَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٩]. ويقول: ﴿ **وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ** ﴾ [الرعد:٧]. ويقول: ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر:١٤]. ويقول: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ ﴾ [الأنعام:٩٠]. ويقول: ﴿ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّۚ ﴾ [لقمان:١٥]. ويقول: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ ﴾ [الممتحنة:٤]. وفي الحديث الثابت: « **هلا سألوا، فإن شفاء العِيّ السؤال** »(١).

وإذنْ فلابد من هادٍ قدوةٍ سئولٍ ذا ذكر، خبير بوسائل الفرار إلى الله، والهجرة إليه، ألم تر إلى موسى كيف طلب المرشد ليتَّبِعَهُ كما جاء في سورة الكهف ؟! وكيف كان أدب موسى مع مرشده ؟!

ولذا كان لا بد لطالب حفظ القرآن من المقرئ الموَفَّق الخبير بأحكام التلاوة وصحة الأداء، ولو تُرِكَ القارئ العادي لنفسه لاستحال عليه أن يُحَصِّل حق التلاوة وصحة الأداء، وبالتالي ربما اضطربت معه مفاهيم الآيات، وغابت الأحكام،

---

(١) رواه أحمد (٣٠٤٨)، وأبو داود (٣٣٦)، ولفظه: « **أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا، فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ** ».

وقُـلْ مثل ذلـك في كل علوم الدِّيـن واللغة، وكل علـوم الدنيا فكريـة كانـت أم عمليـة، حتـى الحِـرَف والمهـن والصناعات، مهـما علـت أو دنت، لا بُدَّ لهـا من اختصاصي يلقنها ويكشـف أسرارهـا. فـما لم يكـن للمـرء شـيخ في العلـم لضـلَّ وافترسـه الشيطان، واستهواه، وجعل إلهه هواه فهلك، وما لم يكن للمرء معلم في بقية الصناعات لما أصاب ولا أجاد، وربما هلك وهو يطلب الحياة، ومن هنا كان لابد للسّالك إلى الله من إمام يرشده ويوجهه ويسـدده، ويكشـف له أحابيل الشـيطان في العبادات والمعاملات، والخطرات النفسية والإرادات القلبية، والواردات التي قد تكون أخطر على صاحبها من الكفر الصريح.

فَكِّـرْ – **يا ولدي** – في موقف الإمام في الصّلاة !! وفي تلقي الرسول عن جبريل عليهما الصّلاة والسّلام !!

ولهذا سجّل كبار أئمتنا أخذَهُم وتلقيهم عن كبار شيوخهم كابـراً عـن كابر، بالإجـازة الشريفـة، والثبت المحكم، سـواء في العلـوم أو في تلقـي البيعة الصُّوفية واتصال السـند، ولا يزال في عصرنـا هذا يسـتعد الطالب لأعـلى درجات الثقافـة (الدكتوراه

مثلاً) ولابد له من مشرف يشاركه رحلة العلم والجهد ﴿ **وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ** ﴾ [فاطر: ١٩].

وقد تلقينا من قواعد أهل العلم (غير الصوفية) قولهم: **(لا تأخذ العلم من صُحُفي، ولا القرآن من مُصْحَفي)،** **والصُّحُفي**: هو الذي جمع محصوله من الصُّحف وحدها دون مرشد، **والمُصْحَفي**: مَنْ قرأ القرآن وحده من غير مُوقِّف، وهذا مجرَّحٌ عند أهل العلم، ثُمّ تأمل مرة أخرى بعثة الرسل إلى النّاس، ونزول جبريل ﷺ على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالتوجيه والهداية.

ولا تنس يا ولدي: أنَّ التقاء رُوح الطَّالب والأستاذ، وتبادل الود ووحدة الإرادة، واندماج الشخصيتين بالحبِّ وقَصْدِ وجه الله، فيه أثرٌ رُوحيٌّ ونفسي مقرر عند أهل العلم القديم والحديث، وحين يكونُ السَّندُ موصُولاً يكون مِن ورائه سِرٌّ مجرَّبٌ يسميه الصوفية « بَرَكَة السند »، وإن لم يؤمن الجاهلون بسرِّه، ألا ترى قوله تعالى: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ ﴾ [الأحزاب: ٤٦]. تأمّل، فمن هنا تبدأ البركة ، ثُمّ تتسلسل !!.

وأظـن في هذا الإجمال كفاية إن شـاء الله ؛ وإلا فـ ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ ﴾ [القصص: ٥٦].

وبهـذا أكون قـد أجبت على أهم ما سـألتَ مما ينفـع النّاس ويمكـث في الأرض إن شـاء الله، ومنـه يظهر بـكل الوضُوح أنه ليس هناك خلافٌ بين الصُّوفية وبين غيرهم، من أهل السُّنة، إلا في صُـورة الفهم وتحليل المضامين، التي جعلت الصوفية يهتمون بالقلـوب والتربيـة والأخـلاق والاعتصـام بمقامات التسـامي والربانيـة؛ فالتصوف مذهبٌ إسـلاميٌّ أصيلٌ مـن مذاهب أهل السُّنة التي لابدَّ منها للحياة الصحيحة.

وإذا كان الصوفيـة يدْعُـون إلى الأخـلاق وبنـاء داخـلِ الإنسـان بعـد أن تهدَّمَ وتحطَّـمَ، فهم إنما يعملـون غاية ما يجب على الإنسـان لاسـتعمار الأرض والاسـتخلاف عليها، وتنقية الحضارة من أوزارها وأوضارها، واستقرار الأمة بأفرادها على ما لو لم يكن لهلكت، وها نحن قد جربنا، وضرب الله الأمثال، وليـس بعـد الحق إلا الضلال، ونسـتغفر الله ونتوب إليه، وهو الموفق والمستعان.

هذه دعوتنا، وتلك مواقفنا [1]

كلمة لله ثم للتاريخ، ولكل منصف

« **يا ولدي**: دع نعالك في صمتها وتواضعها تسحق ما يعترضها من أقذار، وما يدنو منها من هوامّ وحشرات !! ».

« وإياك أن تشتغل بها تحت نعالك من أوضار، عما هو أمامك من أسرار وأنوار، وتنزه عن أن تعالج الميتة والدم ولحم الخنزير». « وعندما يتورم الشيء التافه وينفتح كما تفعل بعض الديدان في مواجهة الخطر، فاعلم أنه قد هلك بالفعل، وتذكر إن شئت انتفاخ (بالونات) الأطفال: دعها فإنها ستنفجر!! ».

« كيف تطلب مني أن أعامل من ينطح ويرفس ويعض بمثل عمله ؟! أم كيف تطالبني بتعلم النباح والعواء والنعيب، والنهيق والخوار والمواء، لأردَّ على أصحابها بِلُغتها؟ ولم تصل بي الخطوب مرتبة من يفعل ذلك !! »

---

(١) مجلة المسلم، السنة الثالثة والعشرون، العدد الثاني عشر، غرة رجب (١٣٩٣هـ)، ٣١ يوليو (١٩٧٣م)، كلمة الرائد.

« وهل بيدي إنقاذُ المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السَّـبُع ؟! إنَّ الكبير لا يمكن أن يكون صغيراً، وإنَّ الصغير لا يمكن أن يكون كبيراً، وقد علم كل أناس مشربهم، والجعلان في الروث تزعم أنها ملوك!! ».

بهـذه الكلـمات رَدّ فضيلـة الرائـد على أحد أعضـاء أسرة التحريـر حـين طلـب إليه أن يقـول كلمـة في مواجهـة الحملة المسعورة المستكلبة التي تصطنعها خصوم الدعوة الصُّوفية، ثُمّ دفـع إليه كلمته الآتيـة، بياناً للنّاس، وهُـدىً وموعظة للمتقين إن شاء الله (المسلم).

أولاً: ملخص نظرية الدعوة:

لا يستحق شرف النسبة إلى الإسلام، رجلٌ يحيا بغير هدف، فمـن لا هـدف له، لا وجُود له، ولا هدف للمسـلم إلا أن يتمتع بـأن يحقـق رسـالة الخلافة عـن الله في هـذه الأرض كـما هي، في سـماحة الكتاب والسُّـنة، وبسـاطتها وتساميها وشـمولها. وكلما أدرك المسلم رسالته تلك، كلما تفانى في الدعوة إلى الله.

فيبدأ الأخُ بإصلاح نفسه فيما بينه وبين الخالق والمخلوق، علماً وعملاً ومعاملةً وأدباً، ثم يدعُو الأقرب فالأقرب إليه من أهليه وأحبابه إلى ربه، وهكذا تصبح الدعوة إلى الله كُلَّ شيء في حياته، فكلما آمن معنا واحد، زاد حزب الله، ونقص حزبُ الشَّيطان بقدره، وبالمثابرة والدأب، يكثر الصَّالحون رويدًا رويدًا، فيكثر بهم الصلاح كذلك، وبالتالي يقلُّ الفاسدون تبعاً لذلك، فيقلُّ معهم الفساد كذلك.

ثم إنَّ كثرة الصَّالحين تستوجب آليًّا وتلقائيًّا، أن تئول إليهم أعمال ومسئوليات وشئون عامة وخاصة، في مختلف المجالات والمستويات، فهم يمارسونها بما في الإنسان المؤمن من إخلاص وصدق وترفع ابتغاء رضوان الله، مطبوعة بطابع عقيدتهم وأهدافهم الإصلاحية الرُّوحية، فيتحول الاتجاه العام بذلك تدريجيًا، إلى ما هو خير من كُلِّ وجه، فقد عَرَفَ كُلٌّ ماله وما عليه نحو ربه ونفسه وأهله ودينه ووطنه، في رفق وأدب ويُسر ومحبة، ثم هو يؤدِّي واجبه ذاك بوصفه عبادة وربانية، وعلاقة

روحية بالله يستشـعر فيها كُلَّ معاني الإشراق والقرب، والفيض والبركة والمدد، مع حسـن الظن بكل مسـلم، وهكـذا نتقدم مع ركـب الحيـاة الصاعـدة، ونُرسي حكـم الكتاب والسُّـنة دون ما حاجـة إلى هِـزَّات منحرفة، أو متنطعة أو مجنونـة، من الأفكار أو المذاهب أو الأعمال!!.

(نظريـة طبيعية): في غاية البسـاطة وغاية القـوة: (**أَكْثِرْ من الصَّالحين: يكثر الصلاح**، والعكس بالعكس)!!.

ومجـال التصـوف أعظم المجـالات لهـذه الخدمة، نظـرًا إلى انتشـاره وتغلغله العظيم في الوطن الإسلامي جميعاً، فلا يوشك أن يوجـد موضـع شـبر إلا وفيـه صـوفيٌّ صالـحٌ يدعـو إلى الله، فالتصوف الراشدُ هو صميم الإسلام وروحه وإكسيره وغايته.

حقيقةً إنَّ الدَّرب طويل، والسَّير عليه كُلُّه تضحياتٌ وجهودٌ ومتاعب، ولكنَّ الإيمان والاستقامة، والاسـتمرار والترفع عن الشـبهة، والشعور بالمسـئولية مع الثقة بالله: كفيلة كلها بالنجاح إن شاء الله، وعليك العمل، وعلى الله النتيجة.

ثانياً: موقفنا من النظم المدنية:

يجـب أن يكون معلوماً ومفهوماً أولاً وأخيراً أنَّ: **(العشـيرة المحمديـة) هيئـةٌ دينيةٌ روحيـةٌ ربانيةٌ بحتـةٌ،** غايتها إلهيـة معينة، ووسـيلتها روحيـة مبينـة، وهـي (الجامعـة الصوفية الإسـلامية العالميـة)، فإليهـا ينتمـي القـادري، والرفاعـي، والأحمـدي، والشّـاذلي، والدسـوقي، والنقشـبندي، والخلـوتي، وغيرهم من الطـرق الشرعية الواعية، بجامع خدمة أصول الدعوة المشـتركة بين الجميع، دون ما تَعَرُّضٍ لخصائص كُلِّ طريقة بالذَّات .

فلابدَّ أن يحتفظ كُلُّ أخ بصدق ولائه لشيخه، وتمام إخلاصه لمشربـه وعمله لسـلوكه ووصولـه، فتعـدد الطرق تعـدد لمناهج السُّـلوك، حتى يجد كُلُّ مقبل على الله تعالى ما يتناسب مع طبيعته واسـتعداده في حـدود شرع الله . ولعـلَّ مـن تخلَّـف عـن شرف الاندماج في هذا الرَّكب الإلهيِّ فاته الخيرُ الذي لا يُعوَّض، وفاته التمتع بنعمة الرسالة الإنسانية الرفيعة في الإسلام.

والعشـيرة هيئةٌ خالصـةٌ لوجه الله، ممحصـة ممحضة من كُلِّ غـرض أو عـرض أو مـرض، مسـتقلة عـن كل هيئـة أو جماعـة (أو دولـة أخـرى!!)، وأنَّ مـا قـد يكون من نشـاطها في الميادين الثقافية والاجتماعية وألوان الخير والعبادة وغيرها، إنما هو اقتضاء ذاتي مـن لوازم ماهية التدين والربانية، وإلا كان تدينًا معطلاً من آثاره ونتائجه الطبيعية، وكان قبول ذلك نوعاً من التنطع في سوء الفهم، أو الإمعان في الخطأ، والعراقة في الجهل بدين الله الكامل، وبالتصـوف الشـامل في تاريخـه الإنسـاني والاجتماعـي الجامـع العريق.

إننـا نعـرف إسـلامية محمديـة إلهيـة، حـددت الأوضـاع كلهـا، وحفظت أنـواع حقوق الأفـراد والجماعات، والشـعوب والحكومات، وحلّت جميع مشاكل الأفراد والطبقات، وضمنت للنّاس الاستقرار والأمن والرخاء والعدالة والتقدم والسعادة.

أمَّـا الأوضاع المدنيـة المختلفة بأسـمائها وقواعدها ، فما كان فيها من خير فمن الإسلام لا محالة، وبه نأخذ تحت أي اسم كان،

فالتسميات لا تغير الحقائق، وما كان من شر فمن طبيعة هذه الأوضاع، ونحن بالإسلام نكتفي إلى آخر الأبد، والمحمدية عصارة الإسلامية وأكسيرها المكنوز .

والصوفيُّ الراشد، بطبعه وعقيدته، خادمٌ لوطنه وقوميته، أصدق الخدمة وهو لهذا يشارك إيجابيًا، بكل نفسه وماله وأهله ومواهبه وطاقاته، في تحقيق أهداف الوطن ومخططاته، عامة وخاصة، مندمجًا في ركبه التقدمي المسلم السمح، وإلا لم يكن له من التصوف الحق أدنى نصيب.

ونحن نرى أنَّ (الاشتراكية) الصحيحة بمعنى الكفاية والعدل، والعلم والإيمان، والمساواة والحرية، والتكافل والتكامل، إنما هي جزءٌ أصيل من الإسلام، تحكمها قوانينه وآدابه المقدسة، فإن الإسلام أعظم قوى الحياة الدافعة إلى منتهى غايات التقدم والانطلاق الحضاري الشامل، والتاريخ والواقع أصدق الشَّاهِدِين.

ثالثاً: موقفنا من الهيئات الإسلامية:

ومِنْ فضل الله أن اختص كُلَّ هيئة إسلامية صادقة في وطننا بميزة وخصيصة مستقلة، لا توشك أنْ تزاحمها فيها هيئة أخرى، وإن تشابهتْ معها في وجوه عمل الخير العامِّ، فتكاد كل هيئة منها اليوم - فيما نرى- تقومُ على ثغر مستقل من ثغور الإسلام، وتكاد كل واحدة منها تشبع استعداد طائفة معينة من أهل القبلة، فإذا كُلٌّ واحدة منها تكاد تتمم مع الأخرى حلقة الجهاد المتكامل والخدمة العامة، حتى لكأن هذه الهيئات جميعاً فروع متعددة، لجماعة واحدة، كُلٌّ منها يخدم جانباً خاصّاً لابد منه، ولا يستغني بغيره عنه، وتقوم على ثغر من ثغور الدِّين .

وعلى هذا الوجه نحب أن نَفهم الجماعات النظيفة القائمة بيننا الآن، فعلاقاتنا بها علاقة الود والأخوة وحسن الظن، فإن اتفقنا تعاونَّا، وإن اختلفنا تناصحنا وتهادنا، وما تهاونّا، ولنكن جميعًا صفًّا واحدًا أمام كُبريات المخاطر والأحداث ؛ فالأمر أكبر

من إهدار الأوقات في الخلافات الفكرية على الفروع الاجتهادية، التي كانت وستكون، وسوف تبقى كذلك إلى يوم القيامة.

ونحـن نعتقد أنَّ الإلحاح في محاولة تمزيق الأمة باسـم الدِّين عمالة أجنبية مشبوهة، وتدمير خبيث للعقيدة والوطنية لا يرضى عنه الله.

رابعاً: موقفنا من المذاهب الإسلامية:

أهـل القبلة جميعـاً إخواننـا ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾ [المؤمنون:٥٢]، فلا خصومة شـخصية أبـداً بيننا وبين أي مذهب مـن مذاهب (أهل لا إله إلاالله)، سـواءً كانوا أحنافاً، أو مالكية، أو شـافعيين، أو حنابلـة، أو ظاهريـة، أو هادويـة، أو زيديـين أو إماميـة أوسـلفية أو غيرهـم[1]، فـإنّ الاختـلاف في الفـروع

(١) الـكلام هنا على الخـلاف في الفروع الفقهية، أمّـا الخلاف في الأصول والعقائـد فله أحكامه، وفي كُلّ كان شـيخنا رحمه الله يدعو إلى التفاهم والتعايـش والتقريب، بما هو ممكن، ولا يعنـي ذلك أبداً (التذويب)، ولا (التعـدي). وراجـع كتاب شـيخنا (الفروع الخلافيـة ومشروعية العمل بأحد الوجهين فيها).

ضرورة طبيعية، ويستحيل استحالة مادية جمع النّاس كلهم على مذهب واحد، أو رأي واحد، في مسائل ظنية هي موضع نظر واجتهاد بالفطرة، وما دام مرجع الجميع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما دام الخلاف على الفرعيات إنما هو في الفهم والتوجيه والترجيح وطلب الحق، فلا خصومة قط، ولا سوء ظن، وإنما هو التناصح على بساط الحبِّ في الله، والاقتراب مما هو أهدى وأجدى، إيماناً واحتساباً.

وقد اختلف الصحابة رضي الله عنهم والنبي ﷺ معهم والوحي ينزل في مثل: صلاة العصر في بني قريظة، ومصير أسرى بدر.

واختلفوا من بعده ﷺ في مثل: (مسائل العول والكلالة، وعدة الحامل المتوفى عنها زوجها، وسُكنى المبتوتة، وزواج المتعة، والطلاق الثلاث بلفظ واحد، والطلاق المعلق، وقراءة المؤتم، وعدد التراويح، والسدل والقبض، ورفع اليد قبل وبعد

الركوع، والجهر بالبسملة، بل اختلفوا في صورة حركة الأصبع في التشهد ... إلخ)[1].

ومع هذا فقد احترم كبارُ أئمة المذاهب آراءَ بعضهم، بل قلَّدَ بعضهم بعضًا، أحياء وموتى؛ فصلَّى الإمامُ الشَّافعيُّ عند

---

(١) يقول العلامة أحمد شاه ولي الله الدهلوي في كتابه « حجة الله البالغة » (١/ ٢٦٩): « إنّ أكثر صور الاختلاف بين الفقهاء، لا سيما في المسائل التي ظهر فيها أقوال الصحابة في الجانبين، كتكبيرات التشريق، وتكبيرات العيدين، ونكاح المحرم، وتشهد ابن عبّاس وابن مسعود، والإخفاء بالبسملة وبآمين، والإشفاع والإيتار في الإقامة، ونحو ذلك، إنما هو ترجيح أحد القولين، وكان السّلف لا يختلفون في أصل المشروعية، وإنما كان خلافهم في أوْلى الأمرين ، ونظيره اختلاف القراء في وجوه القراءة، وقد عللوا كثيراً من هذا الباب بأنّ الصحابة مختلفون وأنهم جميعًا على الهدى، ولذلك لم يزل العلماء يجوزون فتاوى المفتين في المسائل الاجتهادية، ويسلمون قضاء القضاة، ويعملون في بعض الأحيان بخلاف مذهبهم، ولا ترى أئمة المذاهب في هذه المواضع إلا وهم يضجعون القول ويبينون الخلاف، يقول أحدهم: هذا أحوط، وهذا هو المختار، وهذا أحب إليّ، ويقول: ما بلغنا إلاّ ذلك ، وهذا كثير في المبسوط، وآثار محمد رحمه الله، وكلام الشافعي رحمه الله ».

قبر أبي حنيفـة، بمذهب أبي حنيفة أدبًا مع رُوحه الشريف، وقلَّد أبو يوسـف الإمام مالكًا في مسألة الماء المتنجس، وقرَّظ الشَّافعيُّ الليثَ بنَ سعد، وقرَّظَ أبو حنيفة سفيان الثَّوريَّ والأوزاعيَّ، بل صلى الإمامُ ابن حنبل خلف بعض أئمة القدرية.

وهكـذا لا يعرف عن كبار الأئمة مَنْ طعن أخاه أو انتقصه، أو أخرجـه مـن دين الله بجرّة قلم ؛ إذ ليـس في الدُّنيا مذهبٌ كله خطأ أو مذهبٌ كله صواب.

وهـذا إمامنا الشَّـافعيُّ وقد وضع مذهبه القديـم بالعراق في ظروف وأحوال خاصة، فلمّا جاء إلى مصر وواجه ظروفاً وأحوالاً أخرى، وضع مذهبه الجديد، فكلاهما من الكتاب والسُّنّة، وكلاهما صـواب في موضعه، وللمجتهـد الثواب، على الخطـأ والصواب، ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨] .

وكان أبـو حنيفة يقـول: « **نحن على صـواب يحتمل الخطأ، وغيرنا على خطأ يحتمل الصواب** ».

وهـذا هو الإمام مالك لم يقبل من الخليفة العبّاسي أن يحمل النّاس على كتابه (الموطأ)، وبيّن له أن بعض الصحابة سـمع ما لم يسـمع الآخر، أو علم ما لم يعلمه غيره فنشر ما علم، وكل منهم على حق. ومن ثَمَّ اختلفت الوجوه في المسألة الواحدة.

ونحن مع إمامنا جعفر الصادق في قاعدته العلمية: (**حسبنا من المسلم ما يكون به مسلماً**).

إذن فالخـلاف على الفروع طبيعة وشريعة، كانت وسـتبقى مـادام هناك اختـلاف في العقول والتحصيل والفهـوم والبيئات والاسـتعدادات والقابليـات والنفسـيات والوراثـات، وغيرها ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].

والإنسـان مكلـفٌ شرعـاً بالعمل بـما وصل إليـه اجتهاده، واسـتقر عنـده نظره، وحسـبه الدليـل الظنّـي عند أهـل العلم، ويكـون هـذا هو حكم الله في حقِّـه وحَقِّ مَنْ قلَّـدَه حتّى يتبين له خطأ ما ذهب إليه بيقين لا يردُّه برهان.

وعلى هذا الأساس ننظر إلى مذاهب المسلمين فنحترمها ونقرِّب بالتوسط واليسر والاعتدال فيما بينها، ونربطها جميعاً برباط لا فتنة فيه، ولا تفرقة ولا ضلال إن شاء الله، ونحن نقول ما قال الإمام زيد: **حسب النّاس أن يجتمعوا على ما يصير به المسلم مسلماً**، وندعو للمتعنتين والمتعصبين والمبتلين بضحالة العلم وضيق الأفق.

ولا نحب أن نجادل أو نماري، فنحن لا نجادل، لا لنا ولا علينا، ولكن نبيِّن ونكتفي، ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف: ٢٩] !! ونعوذ بالله أن نتردّى سفلًا، ونعوذ بالله أن ننقل أحكام الحلال والحرام إلى الكفر والإيمان، تقليداً لمن سقطوا إلى ذلك من قبل، غفر الله لنا ولهم.

خامساً: موقفنا من التصوف والتمصوف:

وفي كُلِّ وطن إسلامي صوفيون، لعلهم أكثرية الأمّة في كُلِّ مكان، وللتصوف الراشد النظيف أثره الفذ الخالد في التاريخ الإسلامي. وحياة المسلمين الاجتماعية والرُّوحية والعسكرية وغيرها.

ومـن الحق أن نقـرر أننا نفـرِّق بين التصـوف والتمصوف. **فالتصـوف** هـو الإسـلام الإيجابي الشّـامل في أرقـى مراتبه، وإن اختلفت الأسماء والمسالك (**فكلها تبدأ بالتوبة وتنتهي بالمعرفة**). **أمَّـا التمصوف** فهو الشـبح الدخيل الذي أسـاء شر الإسـاءة إلى الإسـلام وأهله، ولا نزال نعاني منه حتـى الآن، ثم لندع هنا أمر التصوف الفلسـفي ورجاله، فلهم مجـال آخر. فإنَّما نتحدث عن التصوف الخلقي والتعبدي والإنساني.

ويجـب أن نتأكـد أنَّ ما عسـى أن تجده في التصـوف الواعي المسـتنير أحيانًا بما قد يشـبه الانحراف في ظاهره، فهو إمّا مؤول لا محالـة، وإمّا مدسـوس على أهل الله، ولا شيء غـير ذلك أبدًا، ومن قـال: إنَّ هذه البدع والمنكرات الصريحـة وهذا الانحراف المخـزي هـو من التصـوف الصحيـح، فقد ضَلّ وغـوى. فنحن نخدم بكُلِّ طاقاتنا هذا (التصوف) الحق المنقّى من الزيف والزيغ، وإليـه ندعـو، فإنما هو خدمـة لله والدين والوطن والإنسـانية كما أسـلفنا، بقـدر مـا نكافـح هـذا (التمصـوف) الوقح بـما فيه من جهلوت وكهنوت، وما فيه من انحرافات وشعوذات وخرافات

وخزعبلات، وما فيه من وثنيات ومظاهر وآثار مخزيات، ليست في شيء من الإيمان، وإن اجتمع عليها الثقلان.

ففي الله ولله تعالى نحاول أن نخدم (التصوف)، وفي الله ولله، نحاول أن نهدم (التمصوف)، وهكذا نحن نكافح جبهتين خطيرتين: جبهة (أدعياء) التصوف، وجبهة (أعداء) التصوف. وفي سبيل الله ما نجد، فنحن إنما نرسي قواعد، ونضع مبادئ، ونسن في الجهاد في الله سنة نرجو أن ترضي الله، وما كان لله دام واتصل، والعاقبة للتقوى وللمتقين.

سادسًا: موقفنا من التسلف والمتمسلف:

والتصوف الشرعي هو التسلف الإسلامي، والتسلف الإسلامي هو التصوف الشرعي، لا فرق في الأصل بينهما أبداً. فكلاهما دعوة أخلاق أو ربانية ومجاهدة أساسها القرآن، وما صَحَّ عن رسول الله ﷺ، والذي يراجع أسناد كبار علماء الحديث الشريف لا يوشك أن يجد فيهم واحدًا إلا وهو موصول السند بالسّادة الصّوفية، حتى الشيخ

ابــن تيمية الذي أثبت في ســنده بخط يده أنــه تلميذ وفيّ للإمام عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه، وقد سبق أن نشرنا النص عن مخطوطة دار الكتب. والمحدِّثون هم أركان السّلفية والصّوفية، والخـلاف المصنوع الـذي حَدَث بـين الصّوفية والسّـلفية، إنما كان أصلـه قديـمًا وحديثًا العبثَ السـياسيَّ، وإقحـام الدِّين في خدمـة الملك والحكم، ثم أخذ هذا العبث لونه الديني المزيف، مـع التطور الزمني باسـم التجديد الدينـي، والتوحيد الجديد، وكان بعض الانحراف قد دب فعلًا في المجال الصوفي، بصورة عامـة، فأمكن منه المتمسـلفة تقليدًا لسـابقيهم وطلبًـا لغايات بها الله أعلم. ولا خلاف على أنها شائنة ومشبوهة.

ونحن حين ننفي التصوف من مستغلقه ومدسوسه ودخيله، وننفي التسلف من اندفاعه ومجازفته وتهوره وتوقحه وتنطعه، إذا نقيناهما هكذا، فلن تجد بينهما خلافًا أبدًا إن شاء الله.

غـير أننـا نفـرق بـين التسـلف والتمسـلف، وقد قررنـا أنه لا فـرق في الأصل بين التسـلف والتصوف، فكل صوفي سـلفي أصلًا. وقد لا يكون العكس، أمّا التمسلف فهو التهور والتوقح

الـذي ينقل أحـكام الحرام والحلال إلى أحـكام الإيمان والشرك، والذي يحكم مجازفة على كافة أهل القبلة بالشِّرك والكفر والردة، ولا يبقي أديماً سـليماً لمسلم، سـابق أو لاحق، ثُمّ هو يعمى عن الخير، ولا يتتبع إلا المناقص والعيوب، في شعوبية وعصبية مجنونة، سـواء في ذلـك تاريخ العلـماء أو الحـكام أوالأوليـاء أو غيرهم، ولا يأخـذ الأمـور إلا من وجهها المظلـم، فيمزق الأمة شر ممزق وهو يمهد بعلم أو بجهل للتبشـير والاستعمار، بتجريده التاريخ الإسلامي من الأمجاد والفضائل، والرجال، وإشغاله الأمة بتوافه الأمـور المختلف عليها، عن كفاح المتفق عليه من أخطار الإلحاد والانحلال والمذاهب الماديـة الطاغية، ثم بتخريبه كل بناء في الله مهما عظم، ما دام لم ينشأ على يد سلفي أو متمسلف.

ثُـمّ إنّ التمسـلف الذي نـراه الآن في الواقـع، يخدم دعوة سياسـية معينة، ويدعو إلى أهداف عميقة ماكرة ظاهرها الدِّين وباطنها أخطر على الوطن من التبشـير والاستعمار العسكري، فلهـذا ولغـيره نحن نكافح التمسـلف كما نكافـح التمصوف.

وكلا الكفاحين خدمة لدعوتنا وديننا وقوميتنا ووطننا وأهدافنا العالية.

سابعًا: موقفنا من الطوائف المتمسلمة:

ولابد من الإشارة إلى أن هناك طوائف أخرى قد تنتسب إلى الإسلام وهي ليست من الإسلام، كأولئك القائلين بأن باب النبوة لم يغلق بعد، وأنهم يؤمنون بنبي جاءهم بعد رسول الله خاتم النبيين، أو بكتاب جديد نزل بعد القرآن (كالبهائية)، وكذلك الذين يقولون: إن الله هو زعيمهم، أو إن الله في زعيمهم، فزعيمهم ربهم الأقدس، لا يسأل عمّا يفعل، وإن تفحش وفجر، وخنا ودعر (...)، أو الذين يتأولون الآيات والأحاديث تأويلاً يخدم الكفر وأهله (كالقاديانية)، وأمثال هؤلاء، وهم طوائف شتّى معروفة، فأولئك لا يدخلون تحت أحكام مواقفنا تلك، فإنما الهيئات والمذاهب الإسلامية فروع متعددة من درجة واحدة، وليست كذلك هذه الطوائف المتمسلمة، فإنما هي أديان زائفة تنتسب إلى الإسلام على وجه التغرير والتضليل ليس إلا،

وهي الديناميت المصنوع بأيدي التبشير والاستعمار والاستشراق الحاقد، للقضاء على الإسلام وأهله من الباطن!!

ثامنًا: موقفنا من غير المسلمين:

أمّا غير المسلمين، فإننا نعاملهم على أساس الكتاب والسُّنة أكرم المعاملة، في سماحة الإسلام المطلقة، وما منحهم دين الله حقوق إنسانية كاملة، ومسالمة شاملة.

ونحن طائفة لا تجادل أبداً (كما قلنا)، لا في الدِّين، ولا في غير الدِّين، فما جاء الجدال بخير أبداً، وما أثمر الجدال إلا فتنة وردى: ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الشورى:١٥].

إنّ ديناً من الأديان لا يزيد ولا ينقص بشخص أو ألف شخص يدخلون إليه أو يخرجون منه، ونحن لم ننته بعد من إصلاحاتنا الداخلية والخارجية، وترميم بيوتنا الخاصة، ولو أننا أدركنا ذلك لكفى، وكُنَّا به خيرَ دعوةٍ إلى الإسلام، فكُلُّ مثار فتنة

نحن منها براء، وإذا كُنّا لا نجادل في غير الأديان، فمن باب أولى لا نجادل في الأديان، وإنما نبشر بديننا على أساس العَرْضِ العلمي السِّلمي والبيان العقلي والرُّوحي المجرد، وقد نجحنا بحمد الله في ذلك، ونجح إخواننا وأبناؤنا في أوربا وأمريكا نجاحاً عظيماً بحمد الله، فإذا انتقل العَرْضُ والبيان إلى الهراء والجدل، انسحبنا غير آسفين، وهذا هو خلق الإسلام فيما نعتقد.

ثم إنّ مَنْ جاءنا ليسلم صادق النية، يريد الله ورسوله ﷺ، دون ما عرض ولا غرض ولا مرض، قدمناه على أنفسنا، وبذلنا له من شأن الدُّنيا والآخرة ما هو أهل له، بكُلِّ ما في طاقتنا المحدودة، وإلا تركناه لما أسلم زورًا من أجله، وهو كثير، ولنا من ذكرياته حاضر وماض مثير.

تاسعًا: كيف تصبح أخاً لنا في الله ؟

والراغب في مؤاخاتنا ؛ ليبلغ كلمة الله، ويؤدِّي واجب خلافته عن الله نحو نفسه وأهله ووطنه ودينه، على طُهر ونظافة ووضوح وانكشاف، وبُعْد عن الشبهات، وعلى رضا

من الله، ومن الشعب، ومن الدولة - بحمد الله -، فليعلم أنَّ الصوفية المستنيرة المتقدمة، أُمّة واحدة، في جميع أطراف الدنيا، وإن تباعدت، وأنَّ الدُّعاة إلى الله بحق، أسرةٌ واحدةٌ، وإن شطَّ بهم المزار.

وكما لا نفرق بين أحد من رسله، لا نفرق بين أحد من أوليائه، بل نحبهم جميعًا، ونتبرك بهم، وندافع عنهم، ونزورهم، ونحسن الظن بما جاء منهم، وندع أمر تفضيلهم إلى الله العليم بهم، فلا نتقحم على الغيب، و﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، ﴿ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٠]، ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ ﴾ [المدثر: ٣١].

ثُمَّ ليعلم أولاً وأخيراً: (أننا قلة فقيرة مؤمنة)، وأنّ قوتنا في قلتنا، وأن فخرنا في فقرنا. وأن سر نجاحنا في إيماننا، وأننا نؤمن (بالتعبد والفضيلة والعلم والعمل)، وأننا نكره: (التفاخر والتظاهر والتكاثر والدعاوى والتهريج)، وأن سبيلنا: (الحق ولو لم يكن معنا أحد)، وأن وسيلتنا: (التعبد والدعوة والجهاد والصبر)، وأنّ مذهبنا: (الحكمة والمسالمة)، وأن أساس صحبتنا:

(حسـن الظن وحسـن الخلق، وحسـن العبادة)، وأن من أصول مؤاخاتنـا: (قبولنـا على علاتنـا)، وأن من أكبر مقاصدنـا: (تربية القـادة، لا حشـد الجماهـير)، وأن مـن مقومـات شـخصيتنا: (التواضـع والأدب والسـماحة والبـذل)، وأن مـن ندائنـا: (حي عـلى الفلاح)، وأن شـعارنا هو غايتنـا: (الله) ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر:٣٦].

وعلى هذه الصـورة نحاول أن نملأ الفراغ الرُّوحي البالغ العمق الذي يعاني منه الإسـلام في كل مكان. فإن كان الراغب في مؤاخاتنـا قـد أرضاه هذا المذهب، فـإن كان متصوفاً بالفعل فهو على (طريقته ومشربه وبركة شيخه) يسير معنا، متعاوناً في تحقيـق أهدافنـا، ولا نطلب منه إلا أن يتـزود (بالمحمدية) التي لا يخطئها إلا محروم.

أمّا إذا لم يكن الأخ قد تصوف، فإنْ شاء دللناه على مَنْ نرجو أن يوصله إلى الله من السّادة رضي الله عنهم، وإن شاء آخيناه على مشربنـا الذي نمارسـه في الله، مشرب السّـادة الشـاذلية المحمدية (ولا نزكي على الله أحداً).

وأيضاً: حسن الوفاء

قـرأ الأخ الشـاعر المهندس عـلي ناصر أبيات شـيخنا الإمام الرائـد رحمـه الله عـن حسـن الوفـاء، التـي مطلعهـا «يـا ولدي: لا تنـس جميلي»، والتـي صدرنا بها هذه الرسـالة، فجادتْ قريحته بهـذه (المعارضة) على لسـان شـيخنا، تكراراً لنـداء مولانا الإمام الرائد لنا ولجميع أبنائه في الله، قال:

يـا ولـدي: قد لاحت شَـمْسي وصـارتْ حجبـك لا تمنعنـي
وتجلـتْ فيكـم أنـواري فتلـك يمينـي لمـن يتبعنـي
يـا ولـدي: يحثـوك ندائـي في جنباتـك هـل تسـمعني
ضاقـت دنياكـم بوجـودي وليسـت أرض الله تسـعني
يـا ولـدي: وتجـرد سـيفي فامـض بـه قدمـاً ترفعنـي
يـا ولـدي: مَـنْ ذاق كـؤوسي يعلـم أنـك لسـت تدعنـي
فتلـك جنـودُ الله تصونـك في بيتـي فاقبـل فاجمعنـي

قواعدُ وأصولٌ وبياناتٌ لا بد منها[1]

إجاباتٌ على أسئلةٍ واستفساراتٍ

الفرقُ بين العشيرةِ المحمَّديَّةِ والطريقةِ المحمَّديَّةِ

ما هي العشيرةُ المحمديَّةُ:

إنَّ الانتماء إلى العشيرة معناه، أنك تتمسك بكل قوتك وإيمانك، بمبدئك الخاص وبطريقتك التي اخترتها لنفسك، وبمذهبك المفضل عندك، ثم تزيد على ذلك أن تكون **(محمديّاً)**.

والمحمدية عندنا معناها:

أولاً: أنْ تبذل طاقتك كلها في سبيل تخليص مبدئك وطريقتك ومذهبك المختار، من كل ما يخالف الكتاب والسنة قولاً وعملاً وحالاً، ظاهراً وباطناً.

---

(١) مجلة المسلم، السنة الرابعة عشرة، العدد الأول، شعبان (١٣٨٣هـ)، ١٧ ديسمبر (١٩٦٣م)، كلمة الرائد.

ثانياً: أنْ تحاول أن تجعل سيدنا محمَّدًا ﷺ قدوتك الكبرى في كل حقيقة ومظهر، وحركة وسكون، وأنْ تعلق به قلبك، وأن تفنى في حبه باستيعاب سيرته، واتباع ما صح عنه ﷺ بكل ما فيك من انفعال أصيل، واندفاع مكين.

ثالثاً: ألا تدع أية فرصة تفوتك، دون أنْ تزداد علمًا وثقافة ومعرفة، على أوسع المعاني بالدين والدنيا معاً، وأنْ تتحقق من كل ذاتك، وبكل أعماقك بمكارم الأخلاق، ومعالي الأمور، وخصائص الفضائل، وأنْ تجعل من أورادك وعباداتك الأساسية، ممارسةَ الخدمات الإسلامية والإنسانية والاجتماعية، في كل مستوياتها إيماناً واحتساباً.

رابعاً: أنْ يكون التصوف الإسلامي النقي الإيجابي هو لُحْمَةَ كُلِّ ذلك وسُدَاه، وأنْ يكون هو قانون التعامل فيما بينك وبين الله والنّاس، وأنْ تكون خدمة التصوف كدعوة إلى السّلام والتسامي والربانية - عبادةً إيجابيةً من عباداتك الأصلية.

خامساً: ألا تشترك في فتنة، ولا تفكر في سوء ولا مضطرب،

وأن تترفـع عن مظانِّ التُّهم، وأن يكون الخير والبركة والتقدم، والتيسير والبر، والدعوة والهدى، والتوفيق والتقريب، والنور والنـدى، علامةً عليك، وإشـارةً إليك ؛ فأينما تحل يحل الفيض والبركـة، وأينـما تكـون يكون الرضـا والمـدد، وأينما تَفِـدُ يَفِدُ الخـيرُ والإيجابيـة والتجديـد، ويُذكر الله تعالى ؛ هـذا هو معنى الانتماء للعشيرة.

فكُنْ ما شئتَ على أي مذهب، وعلى أي مشرب، وعلى أي مظهر، وفي أي عمل، وبأي زمان أو مكان، ولكنْ كُنْ (محمَّديّاً)؛ فبغـير المحمديـة لن يكمـل أو يقبل أمرٌ محسـوس ولا معقول؛ فالمحمـديُّ إذن هو الرجل الكامل، أو المسـلم النموذجي؛ لأنه يحـاول أن يكـون في حقيقته صـورة مصغرة بقـدر الإمكان من سيدنا رسول الله ﷺ الذي نَسَبَ نفسه إليه.

ولهـذا تجد في مجلس العشـيرة إخواناً وأحبابـاً من كل فريق، ومـن كل مـشرب، ومـن كل طريـق، يجمعهـم المثـلُ الأعـلى، وينطـوي كُلٌّ منهـم على ما يراه في ذاته خـيراً وأوفى ؛ لأنَّ دعوتها للتجميـع، ولأنَّ خدماتهـا للجميع، ثُـمّ يتفرع عن ذلـك قواعدُ

ومبادئُ وأصولٌ وأهـداف كُبرى مقررة بقانون المحمّديين، هذه هي العشيرة المحمدية.

وأمّا الطريقة المحمديـة:

فهـي مَـشْرَبٌ صـوفيٌّ إسـلاميٌّ نقـي، لـه كيانـه الـذاتي، وشـخصيته المسـتقلة، وله أسـناده الموصولة بكبار الرجال، ثم بسـيدنا رسـول الله ﷺ، وله آدابه، وتقاليده، وأحزابه وأوراده، وأذكاره وعباداتـه، وقواعـد تربيتـه، وسـلوكه وخصائصـه، وبراهينه وأدلته، وأصوله وقواعده.

هذا المشربُ قاعدته الطريقة الشَّـاذليَّةُ، من سلسلة الإمام العلامـة العارف الشـيخ ابـن ناصر الدرعـي، ولـه روافدُ من بقية فروع الشـاذلية الأصيلـة، ثم من الخلوتية، والنقشـبندية، والتيجانيـة، والدرقاويـة، وطائفـة أخـرى مـن خـيرة الطـرق الصوفية المرضية.

وكذلـك يَمُـدُّ هذا المشربَ سـندٌ مباركٌ عـن صالحي الجنِّ، وسـندٌ رُوحـيٌّ عن سـيدنا الخضر، وعـن الإمام البـدوي، وعن الشيخ الشعراني... إلخ.

ولعـل مِنْ أهم ميزات الطريقـة المحمدية، أنها تردُّ كل شيءٍ إلى الله ورسـوله، وألا تترخص في شيء جاء به الكتاب والسـنة، وأنهـا تجعـل العقـل والشرع ميـزان كل مـا تأخذ وما تـدع، وأنَّ رجالها رجـالٌ عمليون واقعيون، لا يُخدعـون ببهرج ولا مظهر، ولا يُبهـرون بزخـرف ولا بِدُنْيـا، وهـم يترفعـون عـن الريـب، ويعتصمـون بمعـالي الأمور، ويكرمون إنسـانيتهم عـن الإغراء والغـرور، ويجعلون الصـبر والتحمل والأمل قاعـدةَ جهادهم، وما دام قد رضي الله عنهم، فكُلُّ شيءٍ هينٌ.

وبهذا تكون الطريقةُ المحمدية، طريقةً كاملة، جامعة لبركات وخصائـص أكثرية الطـرق المفضلة بحمـد الله، ويمتـاز مريدُها بحـبِّ جميـع الطرق الشرعية، وبحسـن الظـنِّ في الدعاة بحق إلى الله جميعاً، وبالأدب مع كل شيخ متشرع متمسك. وهكذا يتضح الفرقُ الكبير بين الطريقة المحمدية، والعشيرة المحمدية.

فالطريقـةُ خاصـةٌ بمريديهـا ورجالهـا ومقوماتهـا الحسـية والمعنوية .. والعشـيرةُ جامعةٌ لكل الطرق وكل الرجال العاملين بالشرع الشريف.

والطريقةُ للسلوك والخدمة والتربية على منهجها المحدد.. والعشيرةُ للتصوف جميعًا، والخدمات العامة كلها، وللأمة الإسلامية كافة.

ودارُ الطريقة: البيت المحمدي بقايتباي.. **ودارُ العشيرة:** مجلس أهل الصُّفّة- بباب الخلق[1].

وللطريقة مجلس من خصوص المريدين المجاهدين المبايعين السّالكين .. وللعشيرة مجالس من كل مذهب ومشرب ومن كل طريق شرعي.

وإنما يجمعُ العشيرةَ والطريقةَ هدفٌ واحدٌ هو المحمدية، التي تتلخص في خدمة العقيدة والفضيلة والتسامي بالإنسانية، وخدمة جماعة المسلمين من طريق التصوف.

(١) ثم صار مسجد مشايخ العشيرة المحمدية بقايتباي هو دار العشيرة والطريقة معاً، أما مكتب العشيرة الرسمي ففي مسجد الإمام العدوي بساحة الإمام الحسين رضوان الله عليه.

مسألة القِلَّةِ والكثرة:

ولقد يَعْجَبُ كثيرٌ من النّاس، كيف تهيأ للعشيرة المحمدية أنْ تمتد فروعُهَا إلى كثير من أوطان العروبة والإسلام، وأنْ يصل صوتها الذاتي المتواضع، إلى كُلِّ شبرِ أرضٍ فيه مسلمٌ في شرق الدّنيا وغربها.

حتى إنَّ كثيراً جدًّا من زعماء المسلمين الذين يزورون القاهرة، عندما يشاهدون دار العشيرة، هذه الدار الصغيرة الصوفية المتواضعة كل التواضع، ويشاهدون خادمَ هذه العشيرة ورائدَها، حتى لا يكادون يفرِّقُون في المظهر بين الخادم والرائد، ولا يكادون يصدقون أنَّ هذا البناء الفقير في مصر، هو صاحب كل تلك الثروة الضخمة من حُسن السمعة والإمامة، والذكر الكبير في الخافقين.

ولقد طالما ظنَّ بعضُ الغافلين أو المغفلين أننا قِلَّةٌ من النّاس، وربما عيرونا بهذا، ونحن برغم كثرتنا - بحمد الله - نَعتبرُ أننا قِلَّةٌ أمام صورة آمالنا في الله، ولهذا نسلم بأننا اليوم قِلَّةٌ كثيرة، كقِلَّةِ

المسلمين بين الأديان الأخرى، فهي قِلَّةٌ أقوى وأشرف وأنفع من الكثرة، ومعنا الأدلة الآتية:

- **إنَّ الدعوة المحمدية** دعوةُ جِدٍّ وجهاد ونظافة، وترفع وعلم وثقافة، **دعوة** عمق ويسر، ووضوح وانكشاف، فلا تغرير ولا تضليل ولا تعقيد، ولا إغراء ولا خُرافة، وهذا لون من المذاهب لم يألفه كثير من النّاس، وبخاصة أنَّ معتنق هذا المذهب مفروضٌ فيه التضحية والبذل، والصبر والمصابرة، والثبات والتثبت والتثبيت، والمثالية والعدالة، وليس له في مقابل كل ذلك عَرَضٌ من دنيا أو من جاه، أو من صيت، أو مال أو غيره، إلا ابتغاء رضوان الله، في تحوط أكيد، وحرص شديد، خيفةَ أن ينال عمَلَهُ معنى هابطٌ، من رياء أو سمعة، أو شرك خفي أو عمل صغير، والمحمديُّ في كل شيء كبير، كبير بحق فهذه واحدة.

- **أمّا الثانية،** فسُنةُ الله أنَّ الطيبَ قليلٌ؛ قال تعالى: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣]، ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ [ص: ٢٤]. ﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنفال:٢٦]. ﴿ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾

[الكهف: ٢٢]. ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْأَخِرِينَ ﴾ [الواقعة: ١٤]. ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ ﴾ [البقرة: ٨٣]. ﴿ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾ [البقرة: ٢٤٩]. ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ [هود: ١١٦]. ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، إلى آخر هذه الآيات.

فكانت منزلةُ القلة في كتاب الله، منزلةَ القُرب والسيادة والمدد، والترفع والعزة والمجد، وعلى العكس كانت منزلة الكثرة، كما قال تعالى: ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ﴾ [المائدة: ١٠٠]. والآيةُ تقرر:

١ - أنَّ الطيبَ قليلٌ، والخبيثَ كثيرٌ.

٢ - أنَّ الكثرةَ من حيث هي، قد تعجب وتغري، ولو كانت في الخبيث.

٣- أنَّ الخبيث كثير دائمًا، بعكس الطيب فهو قليلٌ دائماً.

ثُمَّ انظر إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ ﴾ [الأنفال:١٩]، وقوله جل شأنه: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ

أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـًٔا ﴾[التوبة:٢٥].
﴿ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ ﴾ [النساء:١١٤]. ﴿ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ ﴾ [المائدة:٦٦]. ﴿ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُ ﴾ [الحج:١٨]. ﴿ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد:١٦]. ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ ﴾ [المائدة: ٦٢]. ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا لَّيُضِلُّونَ بِأَهۡوَآئِهِم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ ﴾[الأنعام:١١٩]، ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ ﴾ [الأعراف: ١٧٩]. ﴿ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾ [يونس:٩٢]. ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ ﴾ [ص:٢٤]. ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنعام: ١١٦]. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٧]. ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾ [البقرة:٢٤٣]. ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [هود: ١٧]. ﴿ وَلَقَدۡ ضَلَّ قَبۡلَهُمۡ أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [الصافات: ٧١]. ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٣]. ﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ﴾ [الإسراء:٨٩]. ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَكُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ [الزخرف:٧٨]. ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾

[الأنعام:٣٧]. ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ [الأنعام:١١١]. ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يونس:٦٠]. ﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء:٨]. ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴾ [الشعراء:٢٢٣]. ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٠٢]، إلى آخر هذه الآيات.

وهكذا تتكشفُ عورة الكثرة وسوأتها، وتسقط منزلتها واعتبارها، ما لم تكن لله، وفي الله، والكثرة في الله قليلة، والقلة في الله كثيرة ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

ثُمَّ في الطبيعة، ما أكثر (التبن) ؟! وما أقل (التبر)؟!

ثُمَّ ضع جنيهاً واحداً ذهباً، وضع في جواره سبعمائة مليم من النحاس فأيهما أكثر عددًا ؟! ثُمَّ أيهما أشرف حقيقةً ومعدناً ؟! ﴿ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [الحشر: ٢].

وفي تاريخ الأديان: أليس كان يونس نبيّاً مرسلًا يوحى إليه ؟! فلماذا لم يؤمن به أحد، حتى كان من أمره ما كان ؟ فآمن به من آمن.

ولكنْ علام الذهاب بعيدًا، وقد روى الشيخان في صحيحيهما، عن ابن عبّاس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: « **عُرضت عليَّ الأمم، فرأيتُ النبيَّ ومعه الرهط** - أقل من تسعة رجال - **والنَّبيَّ ومعه الرجل والرجلان، والنَّبيَّ وليس معه أحد** »[1].

فهذا الحديث المتفق عليه - أي هو من أعلى مراتب الصحيح - يجعل حقيقة الرجل غير مرتبطة بعدد أتباعه، فهؤلاء الأنبياء سيأتون يوم القيامة ومعهم هذه القلة من النّاس، وليس ذلك بمنتقص شيئاً من الذاتية النبوية فيهم، ولا هو بمؤثِّر في منزلتهم عند الله. ﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٢٥].

ثم ها هو ذا (المسيخ الدجال) سيكون من أكثر النّاس أتباعاً، فهل معنى هذا أنه يكون من أفضل النّاس مقاماً ؟! ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾ [ق: ٣٧].

---

(١) رواه البخاري (٥٧٥٢، ٦٥٤١)، ومسلم (٢٢١).

وبعــد: فتأمل معنى قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [المُلـك: ٢]. إنه لم يقل أكثر عملاً مثلاً ؛ لأنَّ الكثرة لا قيمة لها في ذاتهـا، ولكنَّ القيمـة كلها للجودة والإحسـان ؛ فقليل جيد خير من كثير تافه غثيث. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾ [النحل: ٩٠]، لا بمجرد الإكثار.

وها هو ذا الإسـلام، أقل أتباعاً من غـيره من الأديان، فهل معنى هذا أنَّ هذه الأديان بكثرة الأتباع تصبح خيراً من الإسلام، أو أنَّ الإسلام بقلة الأتباع يصبح شيئاً خبيثاً بجوار هذه الأديان؟! ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩]. تأمل قليلاً تسترح، وتستروح.

وعـلى كُلٍّ فنحنُ قوم جعلنـا **من أصـول مؤاخاتنا: قبولنا على علاتنا، والله يعلم المفسد من المصلح، ومن يرد الله أن يهديه يشرح صدره.**

أمر سيدنا المصطفى ﷺ في أصح وأثبت ما ورد عنه، بلزوم

الجماعة، وحذر من مفارقتها أشد التحذير، فسأل رجل الحسن البصري عمّا هي هذه الجماعة؟ فقال رضي الله عنه: « **الجماعة من كان على الحق، ولو كنت وحدك** »[1] فتأمل وتعمق وتحقق.

الولاية لا تنقطع ولا تتحدد:

وإنَّ من أحمق الحمق، وأجهل الجهل، ومن التعصب المخزي، أن يزعم رجلٌ أنَّ ولاية الله، أو قطبانية أهل الله، قد انحصرت في إنسان أو زمان أو مكان واحد ؛ فَرْدٌ متعين لا تتعداه إلى سواه.

فأولياء الله كثرة دائمة موجودة في كل أرض وفي كل وقت،

---

(١) وورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال لعمرو بن ميمون: « **إنما الجماعة ما وافق طاعة الله وإن كنت وحدك** ». رواه أبو القاسم اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (١/ ١٠٩). وفي رواية: « **الجماعة ما وافق الحق وأن كنت وحدك** ». قال نعيم بن حماد: « يعني إذا فسدت الجماعة، فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد، وإن كنت وحدك، فإنك أنت الجماعة حينئذ ».

وعن الفضيل بن عياض: « **اتبع طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين، واياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين** ».

وبهم يرفع الله البلاء، ويستجيب الدعاء، وينزل الغيث، وينصر المسلمين ويلطف بعباده، فيما جرت به المقادير، ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

منهم المشهور، ومنهم المستور، وقد يكون المستور أكرم وأعلى درجة عند الله من المشهور، فأكثر الكنوز مغمورة مطمورة، لا يكاد يعرفها أحد.

ومن قَبل الأقطاب الأربعة، ومن بعدهم، ملايين من رجال الله، كانوا ولا يزالون على أقدامهم، كلما ذهب سيد جاء سيد، وإن لم ينالوا شهرتهم؛ لأن الشهرة رزق، و﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ﴾ [الزمر: ٢٩]، ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

وتعصب الحمقى والجهلة، الذين يعتقدون أنه لا ولي في الأرض إلا شيخهم، ولا كرامة لرجل إلا لإمامهم فقط، هؤلاء مخدوعون، مخدّرون بحقن الجهل والعمه، وليس معهم دليل من

كتاب ولا سـنة، ولا من إجماع، ولا من قياس، ولا من استنباط، ولا من معقول ولا منقول، إنما هو التعصب الذي يبرأ منه العقل والدِّين والبشرية السوية.

إنَّ الحديـث النبـوي بلّغنا أنَّ طائفة واحـدة من الأولياء هم (المفـرِّدون)، يأتـون يـوم القيامـة في مثـل ظلل الغـمام لكثرتهم، فكيـف ببقية طوائفهم ومسـتوياتهم(أفلا يعقلون ؟)، ليس هناك أي دليل على أنَّ عدد أولياء الله محدود، أو أنَّ ولاية الله محصورة، أو أنَّ باب الله مفتوح لجماعة، مغلق أمام آخرين.

إنّ هـؤلاء يحكمـون عـلى الله، ويتحكمـون في فضـل الله ﴿ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [الإسراء: الآيـة٢٠]، وبالجملـة هـم يهرفون بما لا يعرفون، فيـضرون ولا ينفعون، ولا ينتفعون، ويعجبني هنا قول السيد الوالد:

ليس التّصوفُ حِكْرَ قَوْمٍ وَحْدَهُم

هَـلْ بـاتَ فَضْـلُ الله في نقصان؟

لا زال فَضْـلُ الله منهمِـراً عـلى

أَهْـلِ الصّفـا، والمَشْـهَدِ النوراني

ولَسَوْفَ يبقى الفَضْلُ مُنهلاً إلى

يـوم القيامـة بالسّـنـا الرَّبـاني

ولَسَـوْفَ يبقـى أوليـاءُ الله في

كُلِّ الأماكـن في مَـدى الأزمـانِ

فيـا ولدي:

اعرف شـيخك، وأحبه، ولكن اعـرف مع هذا أنَّ أولياء الله كثـير، وربما كان منهم من لا يدرك شـيخُك الكبـير منزلة تراب أقدامه عند الله، فاعرف شيخك، وأحبه، ثم أحب الكل وأحسن الظن بهم؛ فالرجال أسرار.

ثُمَّ اعلم أنَّ الأولياء على أقدام الأنبياء، وقد علَّمنا اللهُ الأدب الاعتقادي مع أنبيائه، قال تعالى: ﴿ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ [البقـرة: ٢٨٥]، **يعني في**

الإيـمان والتقدير والمـودة، أمّا في المحبة والاتبـاع والقدوة، فنبينا ﷺ في المقام الأعظم.

وهكـذا لا نفرق بين أولياء الله في الإيمان والتقدير والتبرك، وإنْ كنّـا نخـص أصحاب الحقـوق علينا منهم، بما هـم أهله من مزيد حبٍّ وقدوة واستمداد بليغ.

والشّـأن في ذلك واضح مـع فارق القيـاس، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (١٥١) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥٢].

فافهـم تغنم، ولا تكونن مـن الغافلين أو المغفلين، وأعرض عن الجاهلين.

أيها الأخ المسلم

هذا ما يجب أن تعرفه عن العشيرة[1]

أخـي تصدق على نفسـك وعلى دينك وعـلى وطنك، وعلى ثقافتك بقراءة هذه المذكرة بإمعان وتفكير واستيعاب لتستيقن أن العشيرة المحمدية لو لم تكن موجودة لوجب أن توجد، ولتعرف عـن هذه الهيئـة ما قد لا يكون معروفاً من قبـل لديك، ولتطمئن إلى أن في هـذا الوطن جماعـة نظيفة تعمل لوجه الله، بريئة من كل شـبهة أو عمالة، متماشية مع كل مسـلم، تخدم العقيدة والفضيلة، وتتسامى بإنسانية الإنسان.

دعوة العشيرة:

تخدم العشيرة حقلاً إسلاميّاً معيناً، على أسلوب عملي معين، وبتخطيط علمي مدروس، يجعل هذا الحقل مؤثراً تأثيراً إيجابيّاً في كل ما حوله من حقول الحياة على نظرية فطرية في غاية البساطة.

---

(١) مجلة المسـلم، السنة الخامسة والعشرون، العدد الرابع، غرة ذي الحجة (١٣٩٤هـ)، ١٥ نوفمبر (١٩٧٤م)، كلمة الرائد.

الحقل الذي تخدمه العشيرة هو الحقل الروحي الشامل، والأسلوب الذي تنتهجه هو هداية الكتاب والسنة، ولكن في طواعية ويسر وسماحة، والتخطيط الذي تلتزمه هو فقه الدراسات الإسلامية: تاريخية، واجتماعية، وروحية، على مختلف المراتب والمستويات، ومحاولة التطبيق المبصر الهادي المتناسق مع مختلف المفاهيم وتطور الأوضاع، والنظرية التي تعتنقها العشيرة هي العمل على إكثار سواد الصالحين المستنيرين في مختلف المجالات والمرافق، حتى يأتي الوقت الذي يسود فيه الإصلاح تلقائيًّا، بكثرة الصّالحين؛ فتستقيم الأمور باستقامة القوامين عليها في جميع المجالات.

فكرة العشيرة:

ثم إن العشيرة ترى أن الجانب الروحي في الإسلام هو شطر الدِّين وملاك الإنسانية، وهو الجانب الحساس المتفاعل بالطبع والفطرة، تفاعله بالإيمان والفكرة، مع كافة تيارات الحياة واتجاهاتها ومقوماتها، سواء أكانت شخصية أم جماعية، وهو بهذا الاعتبار يمثل أخطر مناطق التأثير والتوجيه البشري عموماً،

ومن ثَمَّ يكون استغلاله والتحكم فيه والتحكم به أفعل وسائل التجديد والإصلاح والتطوير والدفع التقدمي، من أقرب الطرق وأضمنها وأصدقها.

اتجاه الدعوة:

ومظهر الجانب الروحي في الإسلام هو التصوف - رضي النّاس أم سخطوا - ونعني به هنا التصوف السلفي، أي النبوي، والصحابي، والتابعي في خير القرون، كمدرسة ربانية لتخريج الإنسان الكامل، كما كان قبل أن يصاب التصوف بتلبيس إبليس أقوالًا، أو أعمالًا، أو أحوالًا، فالتصوف الذي نعنيه هو المجال الروحي في أنقى وأرقى المستويات والأبعاد، ولا علينا من تصوف غيرنا، فكل امرئ بما كسب رهين، والحكم على الكل بحكم الأقل ظلم صارخ.

والتصوف- على علاته اليوم - هو الحبل المحيط الذي يربط أهل القبلة أفرادًا وشعوبًا في المشارق والمغارب على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأوطانهم، فما من مذهب في الإسلام يعرف

لـه مثـل انتشـاره ولا آثاره ولا صدقـه ولا عمقه، ومـن هنا كان استغلاله كدعوة إصلاحية روحية ناجحة، أمـراً متعيناً لا يغني عنه سـواه، ولا عـذر في إغفاله للعالمين بقـدره، وخطره العظيم، محليًّا كان أو عالميّاً.

من هو الصوفي المستنير؟:

إنّ الصوفي الذي نعنيه: هـو المحمدي المثقف المتفقه الدائب العمل لتكملة نفسـه حسـيًّا ومعنويًّا، والذي يـمارس عمل الدنيا كـما يـمارس عمل الآخـرة، في إخلاص وتضيحـة وإيمان، وعمق وتطويـر وتقدميـة، كعبـادة أساسـية مقصـود بها هنـا وهنا وجه الله أولًا وقبـل كل شيء، فوجـوده في المصنـع والمتجـر والمكتب كوجوده في المسـجد والخلوة، يعامل الله ويؤدِّي رسالة المحمدي الإنسان في خلافة الله على الأرض.

إنّ الصـوفي المسـتنير هـو العشـير المحمـدي، والمحمـدي هـو الـذي يحـاول أن يجعل من نفسـه صـورة مصغرة من سـيدنا رسول الله ﷺ.

من التفاصيل والأهداف:

وكان لابـد مـن أجل الانتفـاع بالتصوف عـلى الوجه الذي قدمنا من معاناة الخطوات الآتية:

أولاً: تصفية التصوف الإسلامية وتنقيته، وترقيته، وتطهيره، وتحريـره، ورجعـه إلى نبعـه القـرآني والمحمـدي الأول، وتبصير النّـاس بحقائقـه الكـبرى وأصولـه المشـتركة، دون الانحياز إلى طريقـة بالـذات، ودون التعصـب لشـيخ معـين، فـإن العشـيرة للجميـع، ودعوتها للتجميع، وصوتها للتصـوف من حيث هو، ثم بعد هذا لكل وجهة هو موليها، فيختار مَن شـاء مِن الشيوخ، وما شاء من الطرق.

ثانيـاً: إدمـاج التصـوف في الحياة - فإنه مـن طبعه الاندماج والتوجيـه والقيـادة - وتوسـيع رقعة الدعـوة به وإليـه، وإحياء تراثـه، والدفـاع عن حرمه، وتيسـير أسـباب تفاعله وانتشـاره، وتجميع قادته من المسـلمين في كل مكان مـن العالم، ليكونوا نواة الوحدة الإسلامية الكبرى إن شاء الله.

(١) وعندئـذ يمكن الانتفـاع به، كدعـوة إصلاحية عالمية، تنتظـم الأفراد والجماعات، وكمدرسـة ربانية لا بد منها لتخريج الرجال النموذجيين الجامعين بين محاسـن الدنيا والدِّين، والذين بهم يكثر سواد الصالحين، فتنصلح الأمور بصلاحهم.

(٢) وبالتالي يمكن الانتفاع به هنا، فيما لا يغني عنه غيره فيه من تقويم الانحرافات، واسـتتباب الأمن، والتسامي عن المناكر والصغار، ومواجهة التيـارات الانحلالية، والبدعية واللادينية، والشـعوبية، والتبشـيرية والاسـتعمارية، والتقريـب بين طوائف المسلمين والحكم بما أنزل الله.

(٣) المشـاركة في الخدمات الاجتماعية، والثقافية والروحية بمختلـف ألوانهـا ومراتبهـا، باعتبارهـا مسـتويات مقدسـة من العبـادات المفروضـة، لنهضة المجتمـع وتكامله الشـامل الحسي والمعنوي.

(٤) كـما يمكـن اسـتغلاله في تجميـع العـالم الإسـلامي في وحدة روحية شـعبية محيطة، تفتح الطريـق أمام الترابط الفكري

والعاطفي والتمازج الروحي، تمهيدًا للوحدة الإسلامية الجامعة إن شاء الله، فلا سبيل إليها إلا من طريق التصوف وتغلغله، وسماحته وسعة آفاقه وانتشاره الطبيعي في العالم.

(٥) هكذا نكون قد قمنا بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتثقيف والتبصير، والدعوة والنهضة، في وضع روحي شعبي عالمي ومحلي متطور حبيب، بعيد عن الرسميات وما يحيط بها من تقولات، وما تلاقيه من جفاء وجفاف معروف، بقدر ما هو بعيد عن الانحراف والانجراف.

في سبيل الخدمة:

وفي سبيل هذه الخدمة الفريدة تقدّمت العشيرة المحمدية وتتقدم في كل مناسبة إلى كل مسئول بمذكراتها المفصلة في هذا الموضوع الذي عرفت به خبرة وتخصصاً وإيماناً ودعوةً، فضلاً عن جهادها العام الموصول، وجهدها التام المبذول، في كافة مجالات الخدمة المتاحة، وفي حدود إمكانياتها.

وكان من أثر خدماتها أن تألفت أول لجنة لإصلاح التصوف

في التاريـخ الحديـث في أوائـل عهد الثـورة وتلتها لجـان، كانت العشـيرة ممثلـة فيها كلها – وإن لم يتهيأ لهـذه اللجان الوصول إلى الغاية لسـبب أو لآخر –، ولا زال ذلك شـأن العشيرة جهاداً من أجـل التصـوف الحق بين أدعيائـه وأعدائه. ويا لها من رسـالة في غاية الصعوبة قولاً وعملاً وحالاً، ونرجو أن يظل هذا قائماً حتى يأتي أمر الله، وتتحقق بإذنه هذه الأهداف، هذا أولاً . أمّا ثانياً:

فروع العشيرة وأقسامها:

فقد نشرت العشـيرة فروعها في الجمهوريـة العربية المتحدة (مصر)، ثُمّ في العالم الإسلامي والعربي خارج حدود الجمهورية، حتى بلغت إلى كل منطقة فيها جالية مسـلمة، فهي– فيما نعتقد– الهيئـة المصريـة الشـعبية الرّوحيـة التـي ترتبط مع أهـل القبلة في الخارج بفروع ونواب ومندوبين على منهج روحي منظم، جعلها مرجعهـم ومحـل أملهم الكبـير، وجعل دارهـا المتواضعة قبلتهم التـي يحجون إليهـا كلما زاروا هذا البلد الأمـين، جهادًا عمليًّا في غير دعوى ولا دعاية.

المؤتمر الصوفي، والجامعة الصوفية:

وكان هـذا هـو دعامة دعـوة العشـيرة إلى أول مؤتمر صوفي عالمي، باعتبار العشيرة في واقع أمرها جامعة صوفية عالمية، تملك القيادات الثقافية والوسـائل العلمية والشعبية ومعينات الدعوة التـي لم تتهيأ لغيرها، وإنما حـال دون تحقيق انعقاد المؤتمر للآن(١) - رغم ضرورته - أمران:

(١) العجز المالي في العشيرة.

(٢) والعجز الخلقي في منافسيها أعداء وأدعياء.

---

(١) ثم عقدت العشـيرة المحمدية بعد ذلك عـدة مؤتمرات، محلية ودولية، ولقـاءات المركز العلمي الصوفي، واسـتمرت العشـيرة المحمدية على العهد بعد وفاة شيخنا الإمام الرائد رحمه الله، وكان من أثر ذلك مؤتمر العشـيرة الـدولي: «**التصـوف منهج أصيـل للإصـلاح**»، في الفترة من ٢٦-٢٨ شـوال ١٤٣٢هـ، الموافق ٢٤-٢٦ سـبتمبر ٢٠١١م، وقد اجتمع فيه عدد كبير من علماء الصوفية وباحثيهم، وتمثلت فيه الهيئات الإسـلامية بمصر، ولقـي هذا المؤتمر نجاحـاً باهراً، وصـدىً إعلامياً دولياً واسعاً.

الكلية الصوفية: والمجلة، واللجنة:

وكانـت العشـيرة أول من أنشـأ في التاريخ كليـة صوفية[1] تعطّلت بسـبب العجز المـالي أيضاً، كما كانت العشـيرة المحمدية أول مـن كـون المجمـع الصوفي العلمـي، وأول مـن أصدر مجلة صوفية متطورة متحررة هي مجلة (المسـلم)، وأول من أنشـأ لجنة الدراسات الصوفية لإحياء التراث الصوفي بإشراف المجمع.

حركة البعث الصوفي:

وكانت أول من أحدث حركة بعث إيجابية للفكرة الصوفية نبهـت الأذهان وحررت الأفـكار ودفعت إلى البحـث والمقارنة والـدرس والتدليـل والتوضيـح والتأليـف، وكانـت أول هيئـة تتلمذ فيها الشباب المثقف المتسامي والرجال الخواص كمدرسة صوفيـة سـلفية جديـدة ذات مبادئ إسـلامية أصيلـة، وأهداف مثاليـة عريقـة، وتجاوب عملي مـع واقع الحيـاة الرفيعة، وتجميع

(١) ثم كانت أكاديمية الإمام الرائد للدراسـات الصوفية، والمركز العلمي الصوفي، وعدد من المشروعات العلمية والبحثية.

نظيـف صـادق للدعـاة إلى الله بحق من كل مذهـب وكل طريق حتى علا قدر التصوف وارتفعت هامته.

العلماء والخطباء، والشعراء:

كـما كانـت العشـيرة أول مـن حشـد شـعراء التصـوف الإسـلامي في حلقة لا نظير لها في العالم، وأول مَنْ جمع الكتاب والعلـماء والخطبـاء الصوفيـين في دائرة تفتـي وتكتب وتحاضر وتخطـب وتناظـر في أشـهر المسـاجد وأكـبر النـوادي وأكثـر المجـلات المسـلمة، كما كانت أول من جمـع الصوفية الشرعيين في كتلـة واحـدة رغـم اختلاف مشـاربهم هي مجلس العشـيرة المحمدية الإداري والاستشاري.

قسم السيدات والفتيات:

ويظاهـر كل هذا طاقة نسـوية مؤمنة من سـيدات وفتيات، وهبـن أنفسـهن لترميـم البيـت المسـلم، والتذكير بعهـد أمهات المؤمنـين، وسـيدات السـلف الصالـح، مـع مسـايرة النافـع من

مقتضيات العصر الحديث في سماحة ويسر وترفع كبير ولهذا القسم نشاط منظم ومنهج خاص في المجال الشعبي ليس له نظير.

الخدمة في المجالات الثقافية:

ثم تباشر العشيرة بجوار ذلك خدمات مشرفة في المجال الاجتماعي والإنساني والثقافي كأثر من آثار التصوف الإيجابي، وهي تمارس هذه الخدمات المتشعبة على الطريقة الإسلامية المتجددة المتطورة، بإشراف رجال من مختلف المذاهب والمشارب، والطرق الشرعية ليس فيهم محترف ولا متنطع، ولا مستغل ولا متكهن، ولا متغطرس ولا نفعي، ولا وصولي ولا جاهل، ولا مخرف ولا مشعوذ، ولا دعي ولا عميل ولا ألعبان.

الأشواك، والمصاعب:

أمّا عن العقبات والأشواك والمصاعب والمتاعب والمفاجآت والفواجع فحدِّث ولا حرج، وإنما يعزينا أن هذا هو برهان الصدق وشارة القبول عند الله والبشير بعاقبة المتقين.

أسلوب الخدمة الإسلامي:

ثم إن العشيرة مثلًا قد استحدثت أسلوباً اجتماعيّاً إسلاميّاً جديداً في الرعاية الاجتماعية للمحسوبين عليها من اليتامى والأيامى وذوي الشيخوخة والمرضى والطلبة المستوجبين للرعاية والطالبات، بحيث تحفظ عليهم إنسانيتهم، ولا تخرجهم من بيئاتهم، ثم تنفرد العشيرة برعاية المهتدين للإسلام، كما تنفرد بخدمة الحج خدمة عملية مكررة في كل عام.

وبجوار هذا تبذل جهودها مع العاطلين، وترحيل المغتربين، ومد يد العون في طوارئ الولادة والعجز والحجز والوفاة والإعانة على نوائب الدهر وتجهيز الموتى والدفن بمقابر العشيرة، والقيام بالتوفيق والمصالحات، وتوزيع الأغذية والأكسية والأحذية والأغطية- كلما تيسر ذلك -، ولا تبخل على لاجئ إليها بمعونة أدبية أو حسية طوق الجهد.

خدمات ثقافية منوعة:

وللعشـيرة - بحمـد الله - مسـاجدها وزواياهـا وقاعـات الاسـتذكار والمكتبـات وحلقـات القـرآن ودور الحضانـة ودور التأهيـل والعيـادات الطبيـة فضـلاً عن الـدروس والمحاضرات الخاصـة بالرجال والنسـاء، والدروس المخصصـة لتقوية الطلبة والطالبـات، وذلـك بالإضافـة إلى خدمـات مجلـس الفتوى بها، وإحيائها أيام الله ومواسـم الإسلام والمناسبات القومية بالطريقة الشرعية التقدمية، وإنشـائها مدارس الجمعة بمساجدها كتجربة رائدة، مما يجعل من أعجب العجب تناسيها أو الغفلة عنها، وهي تؤدِّي ما لا يؤديه غيرها بأية حال في كل مجال.

لسان حال الدعوة:

ومنذ ربع قرن[1] تصدر مجلة (المسلم) لسان حال هذه الدعوة قويـة ثرية متجـددة، متحـررة مكافحـة منافحة موجهـة مبْصرة مبـصرة محققة متحققة تزداد على الأيام قوة وفتوة لم تتخلف مرة،

(١) وما زالت تصدر بحمد الله تعالى.

ولم تتوقف مرة، ولم يخط فيها حرف فضلاً عن كلمة أو عبارة إلا ومن ورائـه حياة من هدف معين أو فائدة مقصودة مقررة، وهي مجلة مفتوحة متحركة، تشارك في الأحداث، وتندمج في الوقائع، وتحمـل كلمـة الله في حكمـة ودقـة وبعد نظـر، وتسـتغني بكثرة الخلاصات والأكاسير والثقافة المجمعة عن كثرة الأوراق وكثرة البحـوث المكـررة، محافظة على شـخصيتها ومقاصدها المحددة، لا تقلد ولا تنماع.

وكان هذا هو سـبب حياتها المستقرة في هذا المزدحم الزاخر بالمجـلات والصحـف الهائلـة المؤيدة بالمـال والجاه والسـلطان، حتـى لم يكد يبقـى أمام هذه الصحف الكـبرى مجلة ولا صحيفة إلا أصبحت أو كادت أن تصبح في خبر كان.

وإن قدسية هذه الصحيفة عند قرائها في الداخل والخارج مما لا يكاد أن يصفه القلم بحمد الله، برغم محدودية شأنها، وضعف ماليتها، وتجردها من وسـائل الإعـلان والدعاية، والغلاء المدمر في الورق والطباعة.

وأخيراً .. النتيجة:

والنتيجة التي نخرج بها من كل هذا الإجمال:

(١) هـي أننـا أمام طاقـة تاريخية فريدة هائلـة ممثلة في جماعة وفروع ومجلة، ومؤسسات ليست صورة مكررة، ولا هي وضعية مرتجلة، وإنما هي قوة مستقلة متميزة بخصائص ذاتية، لا تشارك غيرهـا ولا يشـاركها غيرهـا في خدمـة ولا فكـرة ولا هدف ولا سبب، **فإنه لا معنى لوجودنا إذا كنا نسخة مكررة من غيرنا.**

(٢) وأنها حركـة - رغم قلة مواردها وعجزها المالي- ذات فعاليـة إيجابيـة في محيطهـا المحـلي والعالمـي الفسـيح، عـلى تجدد وانطـلاق وتصديـق وتقدميـة وأصالة وعمق حكيـم، تمضي فيه عـلى مخطط عقيدي منظم شريف بعيد عن الشـكوك ومنهج قيم مدروس بحمد الله.

(٣) وأنهـا متغلغلـة في الضمائر والبصائر، وأنهـا تؤدِّي على تواضعها وإغفالهـا خدمات غالية خالدة للدِّين والدولة ليس لها من نظير، ولا تطاولها فيه هيئة أخرى ممن تأتيها الأموال رغدًا من كل مكان لسبب أو لآخر.

(٤) وأنها تعتمد في كل هذه الخدمات الجلائل والتضحيات الموائل على مواردها الضحلة المضغوطة، في عصامية نادرة، وترفع فدائي، وإيثار وطهر، لا يعرفه إلا أهل الله، ولولا ذلك لكان لها فيما تهدف إليه شأن أي شأن.

(٥) وأن المسئولين عامة، وفي مختلف مواقع المسئولية ليلمسون الكثير الكبير من هذا المجهود الأثير، ولكنهم لأمر ما يكتفون بالكلام الجميل والإعجاب الأجمل!! بأن الكلمة الطيبة صدقة.

ولعلّ من أسباب إهمالنا وإغفالنا أننا نحترم إنسانيتنا ودعوتنا، وأننا نريد بعملنا وجه الله وحده، وهو عيب لا نستطيع التخلي عنه، ولو تخلت عنا الدّنيا بمن فيها وما فيها، وإنما هو بلاغ للنّاس، وإبراء للذمة، وتسجيل للتاريخ.

أمّا بعد، فإن العشيرة المحمدية لو لم تكن موجودة لكان يجب أن تكون، فإنها جمعت كل ما في كل التشكيلات الشعبية من خير وبر ونشاط، وزادت عليها ما ليس عند غيرها على الإطلاق ولله الأمر من قبل ومن بعد، وله الحمد في الأولى والآخرة.

(الدعوة المحمدية)

- عقيدة عملية. أساسها: العلم، والإيمان، والعمل.
- وحقيقتها: خدمة التصوف المحمدي النقي، وإدماجه في الحياة العامة.
- ووظيفتها: العلاج والإصلاح، وقيادة ركب الحياة إلى معالي الأمور.
- وميزتها: التبشير بالحبِّ والسلام، والرحمة والإيمان، واليقين والتسامي والسعادة.
- وهدفها: رجع المسلمين بالوسائل الروحانية إلى وظيفتهم الإلهية في الخلافة على الأرض.
- والأخوة فيها: شرف مبني على الاعتقاد والعبادة والأدب.
- ومنهجها: ما في الكتاب والسنة.
- وغايتها: الله، والله خيرٌ وأبقى.

التعريف بالطريقة المحمَّدية[1]

ما بين الحين والحين تصلنا مكاتباتٌ من إخوان وأحباب، في بعض الأوطان الإسلامية يسألوننا شيئاً من التعريف بالطريقة المحمدية التي ننتسب إليها.

ولقد عرف الإخوان من قبل الفرقَ الأساسيَّ الكبير بين الطريقة المحمدية والعشيرة المحمدية، **فالعشيرة المحمدية دعوة لخدمة التصوف عامة، ككتلة وجبهة واحدة لا نظر فيها إلى طريقة بالذات، ولا نسبة بالخصوص، ولا إلى منهج محدد، ولسانُ حال العشيرة مجلةُ المسلم التي هي مجلة كل صوفي شرعي.**

فالعشيرة بحمد الله هي الجامعة الصوفية العالمية في عصرنا الحاضر، ومجلتها مجلة العالم الصوفي، ولا نزكي على الله أحدًا.

أمّا الطريقة المحمدية فدعوة صوفية مذهبية مستقلة، ذات كيان خاص ومنهج ذاتي، ومقومات وخصائص معينة.

---

(١) مجلة المسلم، السنة الثانية عشرة، العدد التاسع، غرة ربيع الآخر (١٣٨٢هـ) ٣١ أغسطس (١٩٦٢م)، كلمة الرائد.

وقد رأينا أنَّ خير وسـيلة للتعريـف بها، هو نشر الجزء الآتي من الإجـازة التي تمنحها الطريقة المحمديـة للمتقدمين العاملين مـن رجالهـا، فلعلها خـير وسـيلة للتعريف بأصل هـذه الطريقة الآن.

أمـا أورادُ الطريقة، وأما الآداب وغيرهـا، ففي المطبوعات الخاصة بهذا الجانب، وإليك هذا التعريف، فما أعجبك فَخُذْ، وما لم يعجبك فدع، وإيّاك وسوء الظن الموبق، والعاقبة للتقوى.

(١) تصوف المسلمين :

نعتقـد أنَّ التصـوف الإسـلامي النقـي، إنّما نزل بـه الوحيُ السـماويُّ، قـال تعـالى: ﴿ **وَلَـٰكِن كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ** ﴾ [آل عمـران:٧٩]، **والربانيـة** هـي ما اصطلحنا على تسـميته بـ **(التصوف)** لسـبب أو لآخر، وأسـاس الربانيـة في نص الآية هو العلم والمدارسـة، ومقتضاهما الطبيعي هو التخلق والممارسة.

وأهل الصُّفة هم أهل الربانية في الإسلام، والربّانيون فيه هم

الصوفية، وفي أهل الصُّفة نزل التكريم الإلهي المعروف في القرآن، وأمر الله رسوله أن يصبر معهم نفسه، فهم **عِبَادُ الرَّحْمَن الذين فصَّلَ أوصافهم في سورة الفرقان، وهم أهل الأخلاق والصفات المضافة إلى المؤمنين والمتقين والمحسنين والصابرين في** مواضع شتى من كتاب الله على اختلاف الموقع والأسلوب والبيان.

ولعل من أجمع أوصاف الصوفية أنهم: التائبون، العابدون، الحامدون، السائحون، الراكعون، الساجدون، الآمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر، والحافظون لحدود الله، فهم أهل البُشرى في الحياتين.

فالتصوفُ إذن وحيُ الله الثابت في أعلى مراتبه، ثم هو بالتالي سنة نبيه ﷺ حيَّة في أعلى درجاتها، وحسبك منها أن يكون التصوف فيها هو مقام الإحسان، وقدس الذكر، وطب القلوب، وسبيل المعرفة، ومعراج معالي الأمور، ومعنى هذا أن التصوف هو طلب الكمال، فهو فرض عين على كل مسلم ومسلمة، من أغفله أَثِمَ، وحاسبه الله.

ثـم إنَّ **التصـوف هـو قضيـة العقـل والفكـر**، فهـو مـلاك العقيدة.

وهو **قضية القلوب والأرواح**، فهو أساس العبادة.

وهو **قضية الأخلاق والأدب**، فهو دستور المعاملة.

وما الدنيا بشيءٍ بعد هذه الأقضية الثلاثة.

والتصوفُ حقيقةٌ ربانية واحدة، مصدرها الكتاب والسـنة، وهي تبدأ من التوبة، وتنتهي بالمعرفة على بصر وبصيرة.

أمّا اختلاف أسـاليب التربية والسـلوك والتعبد والرياضة، فضرورة طبيعية في المجاهـدة، وهي تعود جميعًا إلى أصول الدين وفروعـه، حتى تتـلاءم شُـعب الدعـوة، وتتجاوب مـع مختلف الشـخصيات والبيئات، والقابليات والاسـتعدادات ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾ [البقـرة:٦٠] ، ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة :٤٨].

وعليه فاختلافُ أسماء الطرق الشرعية وتعدد أشياخها، لا يعني سوى اختلاف الوسائل وحدها مع اتحاد الأصول والأهداف جميعًا: ﴿وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ [الرعد:٧].

ونحن هنا نتحدث عن التصوف الأبيض النقي، ولا علاقة لنا بتصوف غيرنا على علاته، سابقاً ولاحقاً، وإنْ كنا نحب أنْ نحسن الظنَّ بكل ما يقبل التأولَ والاجتهاد، مما قد يُنسب إلى تصوف أهل الحق، ولكل امرئ ما نوى.

ثُمّ إننا لو فرضنا الخطأ، بل لو فرضنا الانحرافَ في رجل أو رجال ممن انتسبوا إلى هذا الجانب الإلهي، فليس معنى هذا أن نفرض الخطأَ والانحرافَ في نفس الدعوة، أو في بقية جماهير المنتسبين إليها، فالتصوفُ شيءٌ غير المتصوف، كالإسلام شيء غير المسلم، فلا يكون ضلال المتصوف أو المسلم كبشر، معناه ضلال التصوف كمذهب أو الإسلام كدين ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ﴾ [البقرة:٢٢٠].

(٢) الطريقةُ المحمَّديةُ :

وفي هـذا الفلـك الإسـلامي الراقي، تـدورُ دعـوة الطريقة المحمدية، سـمحة بيضـاء، ليلها كنهارها، ولعـل مَنْ فاته شرف الانتفاع بها قد فاته الشيءُ الذي لا يعوض، وضاع منه ما لا يُغني عنه سواه، ولا نزكي على الله أحداً.

والطريقـةُ المحمَّديـةُ مـع أنهـا موصولـة السـند الروحـي برسـول الله ﷺ مـن سلسـلة السَّـادة **الناصريـة الشـاذلية** أصلاً وأساسـاً، فإنهـا كذلك قد جمعـت بنعمته تعالى فضائـلَ وبركاتٍ وأمداداً وخصائصَ كريمة، لعدة طرائق أخرى من أصول الطرق الشرعية الكبرى كالخلوتية، والنقشبندية، والتجانية، والقادرية، والأحمدية وغيرها كما سيأتي مفصلاً بإذن الله.

فالمريدُ المحمديُّ موصول السـند بكل مدد، وهو مع تمسكه المطلـق بطريقته، ومـع اعتزازه واعتداده الـكلي بمحمديته، ومع وفائـه الخالد بعهده من الله، تراه أخًا لـكل مريد متحقق، وحبيبًا لـكل داعيـة عارف، وأمينًـا لـكل وليٍّ لله، لكنه لا يقبـل التغفيل ولا التضليل، ولا يسكت عن النصيحة في الله بالتي هي أحسن،

ثُــمَّ هو يطلــب العلم حيث كان، ولكن لا يذكر إلا مع الإخوان، **فالعِلمُ مَطالبُ تأتلف، والذِّكرُ مشاربُ تختلف** ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ [البقرة :١٤٨].

وهكذا تجدنا أصحابَ مدرسة صوفية حديثة مستقلة بكيانها ومقوماتها وحيوياتها وخصائصها.

ولعلّ من مميزات هذه الطريقة أيضًا أنها تجعل العناية بالثقافة الإسـلامية، والخدمة الاجتماعية والإنسـانية في منزلة لا تقل أبدًا عـن العنايـة بالتربية الدينيـة والروحيـة، وترى أنهـا جميعًا حلقة واحـدة، يُفضي بعضهـا إلى بعض، ولا غنـى لبعضها عن بعض، ولا يقـوم بعضهـا إلا ببعض، ولهـذا نقول إنه لا بـد من إصلاح جذري في الدعوة الصوفية الحالية حتى تؤدي رسالة الله.

(٣) المنكراتُ والبدعُ :

ونحمـد الله تعـالى على أنـه ليـس في طريقتنا هذه سـبيلٌ إلى بدعـة أو محـرم أو منكـر، ولا إلى دخيـل أو مدسـوس أو ملفق، ولا إلى انحراف فكري أو تعبيري أو عملي، أو غيره.

وربما كان من الخير ضرورةُ النصِّ على أنه ليس في طريقنا: طبلٌ، ولا زمرٌ، ولا رقصٌ، ولا رايات، ولا أشـاير، ولا دلوق، ولا مرقعات، ولا طراطير، ولا عكاكيز، ولا سواري، ولا جمع جمـوع، ولا ركبة خليفة، ولا دعاوى ولاية، ولا كشـف غيب، ولا تجارة بالكرامات والخوارق، ولا احتراف للتبطن والمخالفة، ولا قـول بالحلول والاتحاد والوحدة، ولا لغو بمخالفة الشريعة والحقيقـة، ولا تسـتر بالإلغـاز والتحجية والإشـارة، ولا تفتن بسـقوط التكاليـف وصـور العبـادة، ولا تبطـل، ولا تعطـل ولا شـعوذة، ولا غير ذلك من العبث والتشغيب الصارف عن خدمـة الحـق، بل إننا نكافح كل ذلك بكل ما لدينا من وسـائل شرعية وطاقات.

ولا بُـدَّ مـن الإشـارة إلى أنـه ليـس في طريقنا عـلى إخواننا ضرائـبُ دوريـة ولا مكـوس ماليـة، ولا عوائـد ماديـة، ولا اشـتراكات عينية، وإنما هي تبرعات حرة واختيارية، لمن شـاء أن يتعاون مع صندوق الإخوان الخيري على البر والتقوى ؛ لمواجهة مـا هو مفروض عـلى الطريقة من أعباء ومسـئوليات، وخدمات

دينيـة، وأخويـة، وإنسـانية، تجاه اليتامـى، والأيامـى، والفقراء، والمـرضى، والعجـزة، والمبتلين المحسـوبين شرعًا عـلى الطريقة، ثـم لمواجهـة ما لا بُـدَّ منه من خيرات المواسـم والمناسـبات، وما لا رخصة فيه من الإنشـاءات والصيانات والطوارئ والمفاجآت ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩].

(٤) سببُ التسمية:

إنَّ كل من نطق بالشـهادتين مسـلمٌ، سـواء عصى أو أطاع، لكـنَّ المحمديَّ هـو المطيع الصادق، وهذا هـو الفرق بين مفهوم المسـلم ومفهـوم المحمّـدي، ولمّا اتخـذت الطريقة لنفسـها هذا المنهـج الكامـل الشّـامل الجامع بـين فضائل السـلف والخلف، وجعلتْ سيدنا محمَّدًا - رسولَ الله ﷺ - قِبلتَهَا وأسوتها وقدوتها، اشـتهرت باسم الطريقة المحمدية، نسـبةً مباشرة إلى سيدنا محمَّدٍ رسـول الله ﷺ، وتيمنًـا بحبه، وتفاؤلًا باسـمه، وتذكـرًا بذكره، وليس في الدّنيا أشرفُ ولا أعلى ولا أسـمى من قداسة النسبة إلى جنابه ﷺ، فلا يفضل النسـبة إلى غيره عن النسبة إليه مسلم قط، وتلك أيضًا خصيصة فريدة لطريقتنا من نعمة الله.

(٥) قواعدُ وأصولٌ :

- **وليعلـم الأخُ الصالح أننـا الآن طائفةٌ قليلةٌ، مؤمنةٌ فقيرةٌ، مجاهدةٌ غريبةٌ** ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ :١٣]، ولا اعتبار عندنـا للمظهريات قـط، ولا للكثرة أبـدًا ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنعام:١١٦].

- **وإنَّ مـن أصـول مؤاخاتنـا، قبولنـا عـلى علاتنـا** ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾ [الإسراء:٨٤]، فليـس بعـد الرسـول بَشَرٌ معصوم، وفرق مـا بين الأولياء والأنبياء، هو جواز وقوع الخطـأ من الولي، وعصمـة الله للنبي، فكيف بالفارق بين النبوة والإنسانية العامة المجردة ؟!

- لكننـا نجعـل **حتميـةَ التناصـح في الله بشروطـه واجبـاً عينيّـاً بيننا، لا رخصة فيـه**، ونعتقد كذلك حتمية مواصلة الأخ تثقيف نفسـه دينيّاً ومدنيّـاً وتعبديّاً، وتثقيف أهله وبيئته بثقافته الإسلامية الرُّوحية.

- ونعتقـد حتمية مبايعة الأخ زوجته، وأبناءه، وبناته، وكل

مَـن له عليـه ولاية بهذه الطريقة، وتكليفهم تحـت إشرافه بالتزام كافة أصولها وفروعها بالقدر المستطاع.

- ونعتقـد كذلـك حتميـة الأدب المطلـق مع إمـام الطريقة وحسـن الظن به، وتمام الاعتقاد فيه، وملازمـة التعاون الإيجابي معـه، وهكـذا للسّـالك عـلى الإمـام حقـوق التلمـذة والبنـوة والصحبـة، وللإمام على السَّـالك كل حقوق الأسـتاذية والأبوة الرُّوحية المقدسة.

- ونعتقـد كذلـك حتميـةَ ملازمـة الأخ لمجالسـنا العلمية والتعبدية والأخوية، لا يصرفه عنها إلا عذرٌ قاهر يقبله الله، إنما التصوف صحبة وقدوة وجهاد.

- وليعلم الأخُ السَّـالك الداعية، أنـه قد ينقلب عليه أقربُ النّاس إليه، وربما كان **يا أخي**: شرٌّ من خانك هو خير من أعطيتَه أمانَك، فاعلم أنها سُنة الله في البشر، فهي قَدَرٌ لا يُغني عنه حذر، وعلينا مقابلة المفاجآت والفواجع بالصبر والرضا.

- وليعلم **أخونا في الله** أنَّ **مَنْ خالف عنا فليس منا ، وإن ظل**

ينتسب إلينا، فإنما إثمه عليه لا علينا، وبهذه المخالفة ينسحب عنه شرفُ صحبتنا، وينُتزع منه حقُّ أخوتنا، بطريقة ذاتية آلية تلقائية، لا حاجة معها إلى بيان أو إعلان، ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٥].

- وليتذكر الأخُ أنَّ بيعتنا معه كانت على: اعتقاد عقائدنا، واعتياد عوائدنا، وشهود مشاهدنا، والقول بأقوالنا، والعمل بأعمالنا، والتحقق بأحوالنا، والوفاء بالحق لنا، ﴿ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ [الأحزاب: ٢٤] سبحانه.

(٦) الشيخ والطريق :

وقد أسلفنا لك أنَّ تصوفنا ثابتٌ بالوحي، كتابًا وسنةً، وأنه **(طلب الكمال)**، فهو **فرض عين على كل مسلم ومسلمة،** فقد تعيَّن عليك إذنْ التماسُ سبيل الله إلى الكمال بأهل القدوة ﴿ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ﴾ [لقمان: ١٥].

وتعين عليك اختيارُ مَنْ يدلك على صاحب السبيل، مفيض الكمال ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ [الفرقان: ٥٩].

وبالتالي وجب اختيارُ الجماعة التي تجاهد معها، فلا يكفي أن تتقي وتنطوي ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، ووجب أن يتصل نَسبُ الصّادقين فلا ينقطع ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠].

نـزل أحدُ المريدين على زاوية الشـيخ ضيفًـا، فأقراه ثلاثة أيام، ثم قال له: يا ولدي: قد انتهت مدة الضيافة.

فقال المريد: إنما جئت لأتصوف.

قال الشيخ: ليس التصوف عندنا أن تَصُفَّ قدميك وغيرك يموِّنُ لك، ولكن أبدأ برغيفيك فأحرزهما، ثم تصوف؛ اجعل منشارَكَ مسبحتك، واذكر على دقات الفأس والمكوك.

(وقـد كانت الألقاب الصُّوفية تدل عـلى ما يتناولونه من حرف ومهـن وصناعات فمنهم الدقاق، والسـماك، والوراق، والخـواص، .. وهكـذا تعرف أنهم كانوا بحق أمثالاً للمسـلم الكامل إيماناً وعملاً وإيجابية. (أبجدية التصوف الإسلامي)

ألا أيها النوام: ويحكمو، هبوا !! [1]

بأي لسان أُحدِّثُ إخواني المنسوبين إلى التصوف الإسلامي الحق؟!

بأية عبارة أناديهم ليستجيبوا لي ويتبينوا الخطر المحيق بدعوتهم؟!

بأي صوت أُسمعهم حتى ينتبهوا من غفلة الثقة بالنفس، والركون إلى اللامبالاة، والتعلق بالوهم الخادع، والتسليم للغيب المجهول؟ أو الإصرار على الالتزام والتوقف.

بأية كيفية أقنعهم بما أعرف، وما أرى، وما أخشى، وما أنتظر، ويا طالما نصحتُ لهم، والرائد لا يكذب أهله، والفرع لا يخذل أصله ؟!

لقد صحت فيهم أمس البعيد، بما هو واقع اليوم، وما

---

(١) مجلة المسلم، السنة الثامنة والعشرون، العددان الرابع والخامس، غرة ذي القعدة (١٣٩٧هـ)، ١٤ أكتوبر (١٩٧٧م)، كلمة الرائد.

سيقع غداً فتشنجت طائفة منهم وقالوا: صبأت، ولم يبحثوه ثُمَّ لم يتناهوا عن منكر فعلوه بي، وبالتصوف المظلوم ولا يزال أثر ذلك موروثاً للعجب الشديد في بعضهم، يتلقفه البعض عن البعض بلا تبصر ولا تدبر، بعيداً كل البعد عن إنصاف النفس، وإنصاف الدعوة، وإنصاف الواجب والواقع، وإنصاف الحاضر والمستقبل، وليس في النّاس أظلم ممن ظلم نفسه ووراثته وأمانته ورسالته، وهو يظن أن ظلمه هو الإنصاف!!

ومن العجب أنني أقابل من خصوم التصوف بنفس الظلم والجفوة، والتحامل، وسوء الظن ولؤم الدعوى، وخبث الملاحقة بل بما هو أطغى، وأبغى.

وليس يهمني أمر هؤلاء الذين هم عليّ، بقدر ما يهمني أمر أولئك الذين يظن أنهم مني (ألا أيها النوّام ويحكمو هبوا) بلغت اللهم فاشهد.

* * *

من وصايا الشيخ للأتباع

في إحدى الأمسيات بعد أن انتهت المحاضرة الدورية من فضيلة شيخنا الإمام الرائد رحمه الله تحدَّث معه بعض من شباب العشيرة حديثاً منوعاً، فوعدهم فضيلته أن يكتب وصاياه لهم مقاطع شعرية فيما طرقوه من موضوعات شتّى، ثُمّ كتب فضيلته هذه القصيدة وهو يقول: إنني قصدتُ هذا الأسلوب قصدًا لأسباب شتى مخاطباً العقل والقلب معاً، ﴿ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ ﴾ [التغابن: ١١].

المقطع الأول:

يقولـون: ورِّث بَعْضَنـا قُـدْوَةً لنـا
فإنّا لنخشى الخُلف بَعْدَكَ والضَّعفا !
فقلتُ: بلى، ورَّثتكـم، فاعملوا إذنْ
جميعـاً كفَـرْدٍ وَاحِـدٍ وقِفُـوا صَفّـا !
فإنّ لكـم خَصْمـاً وخَصْمـاً وإنكم
إذا مـا تفرَّقْتُـم أذاقكـم الخسـفا !

وإن أخًا بعدي وحيدًا يَئُودُه

وإن جَدَّ حملي ذاك فاجتنبوا الخُلفا

وأيُّ أخ بعدي أقمتم فإنّه

وريثي إذا حقًّا على أثَري قَفَّى

وإن وجودَ الشَّمْسِ يحجُبُ خلفه

كواكبَ لَيلٍ سوف يكشفها كشفا !!

وَقد ترك (المختارُ) هذا (لصحبه)

وَإني سأتركه ليحمله الأكفا !!

المقطع الثاني:

ستبدو فُجاءاتٌ وتَغْدو مصاعِبٌ

ولكن تنادَوْا لا رُجوعَ ولا وَقْفا

فلن يُسْلِم الديّانُ مَنْ دقَّ بابَهُ

وَلن يَدَعَ الدّاعي إليه إذا وَفَّى

وَلـو أنكـم قمتـم بحـقٍّ عـلى الذي
دُعيتـم إليـه كان وَاحدُكـم (ألفا)!
فـلا تحْفِلـوا بالقـوم كُثْـرًا وَقِلَّـةً
فبالكيـف لا بالكمِّ تُلتمـسُ الزُّلفى

المقطع الثالث:

وَإنّ لكـم (شـيخًا) طـوى كلَّ محنةٍ
ولكنـه عـن كل مَثْلَبـةٍ عَفَّـا !!
قـضى عمـره في الله والنّـاسُ حولـه
خصـومٌ جميعاً مـا اسْـتكان وَلا كفَّا
وَمـا هـزَّه السُّـلْطانُ وَالبغي حين لا
وقايـةَ مـن بَغْـيٍ ولا خَـشي الحَتْفـا
أتتـه الدُّنـا زَحْفًـا فلـم يحتفـل بهـا
وبالدعوةِ البيضاءِ والشّرفِ استكفى
وقـال: كفـى بالفقـر فخـرًا وَعِـزَّة
ليـس كعـز الفقر مـن شرف يُضفى

المقطع الرابع:

أقـولُ لأبنائـي اعتبـاراً وقـدوةً

مقـال أبٍ عانـى وجرَّبَ واسـتوفى

تصوَّفـتُ عن فقـهٍ وبَحْـثٍ وخدمةٍ

ومـيراثِ آبـاءٍ تواتَـرَ مُسْـتَصْفَى

وميزتُ بين الزَّيفِ والصِّرْف أبتغي

رضـا الله لا عَرْفـاً قَصْدتُ ولا عُرفا

وجـدَّدتُ لا آلـو كتابـاً وَسـنَّـةً

وَلَمْ أستبح يوماً على خطأٍ حرفـا !!

وَأحببـتُ خلق الله حُبّـاً بلا هوى!!

فأكرمـتُ نفـسي وَاتخذتُ لهـا مَرْفـا

وَأَلجمْـتُ أفواهـاً أَضَلَّـتْ وَزَوَّرَت

وكانت بوجه الحقِّ قد عَصَفَتْ عَصْفا

وَأَدَّبْتُ أصحـابَ الدعاوَى بما لهم

من الجـاهِ وَالأمـوالِ والأثر الأخفى

وسـالمتُ ذا سِـلْمٍ وحارَبْتُ مَنْ دعا
إلى الحَـرْبِ لا عُنْفاً أردتُ ولا حَيْفا
ولَـمْ أَنْـسَ فَضْلاً مـا وإنْ كان تافهاً
وَلمَّا أَزَلْ أَنْسَـى الإسـاءَةَ والعَسْفـا
وأَرْسَـيْتُ أحجارَ الأسـاسِ لدَعْوَةٍ
هي الشَّـمْسُ لا يَوْمـاً تُنال ولا تُطفا
ولاقَيْـتُ مـا لاقَيْـتُ غَـدْرًا وخِسَّـةً
سـعيداً بـه كَمّـاً سـعيداً بـه كَيْفا !!
وَلســتُ أُزكِّي النَّفْـسَ أو أَرْتضي لها
رِيـاءً لتَشْـقَى في القيامَـةِ أو تُجْفـى
وَلكنّنـي حَدَّثْـتُ بالنِّعْمَـةِ التـي
بهـا لفَّنِـي ربِّـي عـلى قَـدرٍ لَـفَّـا

المقطع الخامس:

فعَوَّضَنِـي رَبِّـي بمـا لَـمْ أَكُـنْ لَـهُ
بأَهْـلٍ مِـنَ الأَمْـدادِ زَفَّ بهـا زَفَّـا

وَأَشْـهَدَني رَبِّـي من الحُكْـم حِكْمةً
وَمِـنْ سِرِّه سرّاً عَجَـزْتُ بِـهِ وَصْفـا
وَنودِيـتُ في ذاتي وَنوجيـتُ يَقْظـةً
وَأدْرَكْتُ مِنْ غَيْبِ الحقائقِ ما اسْتَخْفَى
وَلَمَّـا أَبُـحْ يَوْمـاً بمـا قـد حُبيتُـهُ
مِـنَ الغَيْـبِ حتَّـى لا أُقـادَ وَلا أُنْفَى
وَقلتُ: كفاني ذاك فليغضب الورَى
جميعاً، فحسبي مَنْ أفاضَ ومَنْ أَضْفَى

المقطع السادس:

ألا أيهـا الأبنـاءُ تِلْكُـمْ رسـالتي
إليكـم فَسـلُّوا مـن معالمهـا سَـيْفا
فبالحـبِّ وَالإيثـارِ وَالنُّبـلِ وَالنُّهـى
مضتْ دعوتي فامضوا بهـا وَدَعوا الزَّيْفا
هي السِّـلْمُ والإسلامُ والبَذْلُ والفِدا
هي الدِّينُ وَالدُّنْيا، هي المَثَلُ الأَوْفى

وَلستُ أرى إلا التّصوف هجرةً

إلى الله أغدو في محافله ضَيْفا

وَكُلُّ رجالِ الله في الله أُسرةٌ

ترى أهلها إلفاً توحَّد أو حِلْفا

وإنْ كان قد شابَ التّصَوّفَ مَسحَةٌ

من الزَّيْفِ ما للصِّرْف ننسفُهُ نَسْفا ؟!

وكُلُّ علوم الدِّينِ مِنْ قَبْلُ شابها

دَخِيلٌ وَمدْسوسٌ وَما قُذفَتْ قَذْفا!

لِيَعْلَمَ مَنْ عادى التَّصَوّف أنّه

يُعادي مِن الإسْلام أَشْرَفَ ما يُلفَى!!

المقطع السابع:

ويا رَبّ فاشْهَدْ إنني قد نَصَحْتُهم

بأن يلزموا الإيمانَ والخُلقَ الأَصْفى

وأن يلزموا العِلْمَ الأصيلَ وَيعْكِفوا

على الذِّكْرِ كُلِّ الذِّكْرِ، يظهر أو يخفى

وألا يَنُـوا في النُّصْحِ بالرِّفْـقِ لَحْظَـةً

فليس كمِثْـلِ الرِّفْقِ يُوقِظُ مَنْ أَغْفَى

وأَنْ يَتْرُكـوا أَمْـرَ (المِـرَاءِ) لأَهْلِـهِ

فَحَسْبُ المُمَـاري ما يبوءُ بـه سُخْفا

وأَنْ يَدَعـوا داءَ (الرِّيـاء) تحسُّـباً

وإلا فـلا عَــدْلاً أَتـوهُ ولا صَرْفـا

وأن يَذْكُـروني بالدُّعـــاءِ فإنَّنِـي

لأَرْجُفُ خَوْفـاً من مُساءَلتي رَجْـفـا

وأن يسـتروا عَيْبـي فمِثْـلِي مُعـرَّضٌ

لشَـتَّى عُيـوبٍ لا تُخـاط وَلا تُرْفـا

المقطع الخاتم:

تَرَكْـتُ لهـم نَهْجـاً تقيّـاً مُـبَرَّأً

مِنَ الزَّيْفِ يُغْنِي كُلَّ مَنْ طَلَبَ الصِّرْفـا

وَمِنْ خالِصِ الإسْلامِ دِينًا ومَوْطِـنـاً

رَكَـزْتُ لِـوَاءً للتصـوفِ قَـدْ رَفّـا

وَقدَّمْـتُ مِـنْ رُوحِ التصـوفِ ما إذا
تحلَّـوْا بِـهِ أدَّوا رسـالتَهم ضِعْفـا
رســالةَ إصــلاحٍ ونهضــةَ أُمَّــةٍ
وروحَ حيـاةٍ عـن تكاملهـا شـفّـا

المقطع الأخير:

ويـا ربّ أمراضي حملـتُ ولَـمْ أزَلْ
أُعاني فأكرمْ مَنْ دَعا وبِكَ اسْتَشْـفَى
فإنِّـي لعـلِّي يَـوْمَ أَمْـضِي أكـونُ قـد
أَتَيْـتُ بـشيءٍ أَسْـتَحِقُّ بِـهِ اللُّطْفـا !
ويـا ربّ غُفْرانـاً فقد شَـطَّ خاطري
غُرورًا وقـد أَقْبَلْتُ أَلْتَمِـسُ العَطْفا
فهَبْنِـي أَمانـاً مِـنْ لَدُنـكَ فإنَّنِـي
رَجاءً بِرَغْم الخَوْفِ لا أَجِـدُ الخَوْفـا
حَنانَيْـكَ أَدَّيْـتُ الأَمـانَـــةَ كادِحًـا
وأَخْلِقْ بمَنْ أدَّى الأمانـة أن يُعْفَى !!

يا بني

بنـيَّ: اسـمعْ لنـا واعمـلْ تَكُـنْ فى حِزْبِنـا رَجُـلا
قَضَيْتُ العُمْرَ آتي ما أَحَـبَّ الله مكْتَـمِـلا
فلـم أَشْتِـمْ حـياتي قـطُّ إنْسـانـاً وإنْ جَـهِـلا
ولَـمْ أضْربْ كبيـرًا أوْ صغِـيراً لي بِمـا عَـمِـلا
ولَـمْ أَنْطِـقْ بلفـظِ السُّـو ءِ مَهْما كُنْتُ مُنْفَعِـلا
ومـا جـاوَزْتُ قـدْرِيَ أَوْ نَسيتُ لنفْسِـيَ المُـثُـلا
فللتَّـقـوى نَـعَـمْ ونَـعَـمْ وأَمَّـا للشُّـذُوذِ فـلا
ولا دافَـعْـتُ شـرّاً مـا بشَـرٍّ مـا وإن سَـهُـلا
ولا جـادَلْـتُ ذا سَـفَـهٍ ولا عـاتَـبْتُ مُخْـتَبِـلا
وعِشْتُ بجـانِبِ الرَّحـمـن محـفـوظـاً ومبتـهـلا
ومَـا اسْتكْبرتُ عـن عَمَلٍ ولا استعْليتُ مُرْتَجِـلا
ولا ادّايـنْـتُ إلا حـيـن يبغـى آمـلٌ أمـلا
ولَـمْ أَكْسَـلْ ولَـمْ أبخـلْ ولَـمْ أفْعَـل ذلـيـلَ وَلاَ(١)
فخـيرُ النّـاسِ مَـنْ في النّـا سِ بالطَّـبْعِ العليِّ عـلا

(١) ذليل ولا: أي : « ذليل ولاء ».

ليس هذا من التصوف

ليس من التصوف الإسلامي: القول بمخالفة الشريعة للحقيقة، أو أن أهل الحقيقة لا يتقيدون بالشريعة ، أو أن ظاهر الإسلام شيء غير باطنه ، أو أن مسلماً عاقلاً رُفع عنه التكليف .

وليس من التصوف : القول بالحلول أو الاتحاد ، أو الوحدة التي تزعم أن الكون هو الله ، والله هو الكون ، وما جاء مما يوهم ذلك على لسان بعضهم فهو مؤول بما يوافق دين الله ، أو هو مدسوس على القائل ، أو هو مما قاله في حالة الفناء والغيبوبة على لسان الحق عز وجل ، ونحن نستغفر الله للجميع ، ونحسن الظن بكل مسلم .

وليس من التصوف: الذكر على الطبل والزمر بأنواعه مهما كان.

وليس من التصوف: تحريف أسماء الله والرقص بها ممطوطة ، أو محولة إلى أصوات ساذجة لا معنى لها ، ولا قراءة الأوراد بغير فهم ولا إعراب .

وليس من التصوف: لبس عمائم الريش ، ولا حمل سيوف الخشب والصفيح ، ولا القذارة ، ولا البلادة ، ولا البطالة ، ولا الجهالة بدين الله ، ولا ادعاء الولاية والمتاجرة بالكرامات .

معلومات عن الطريقة المحمدية

(١) **الطريقة المحمدية**: طريقة صوفية ، سلفية ، شرعية مستنيرة، معترف بها رسمياً ، **أساسها**: علم الكتاب والسنة، وهي تنتسب إلى سيدنا « **محمد** » ﷺ ، ظاهراً من طريق الأشياخ، وباطناً من طريق التلقي الروحي المباشر ، من الحضرة النبوية الشريفة .

(٢) **سند الطريقة** : شاذلي أصيل ، من طريق الإمام ابن ناصر الدرعي ، الذي ينتهي إليه نسب خاصة فروع السادات الشاذلية المباركة ؛ فهي أخت شقيقة لكل السادات الشاذلية الشرعية .

(٣) **وللطريقة أنساب أخرى للتيمن والتبرك متصلة بالأقطاب الأربعة المشاهير** ، ثم بالسادات الخلوتية والنقشبندية ، والتيجانية والكتانية وغيرها ؛ ولهذا فنحن نحب جميع الطرق الشرعية ، ونعتبر أننا أبناء عمومة روحية في الله تستوجب التعاون والمودة قولاً وعملاً .

(٤) ليس في طريقنا طبلٌ ولا زمر ، ولا رقص ولا مواكبٌ ، ولا راياتٌ ولا أوشحة ، ولا شعوذةٌ ولا تجارة ، ولا ضرائب ولا مكوس، ولا أكل لأموال الناس بالباطل ، ولا يجوز عندنا التظاهر والتفاخر على الإطلاق ، وإنما هي صورة صحيحة من أعمال السلف الصالح .

(٥) طريقتنا هذه للخواص أساساً ، ثم هي لصفوة الجماهير الراشدة ، وطلاب الحقيقة والنور ؛ فلا بد لكي تستكمل ثقافتك عن (الطريقة المحمدية) من أن تطالع (مطبوعات) الطريقة ، لتعرف مدى شرعيتها وتساميها ، مما يتناسب مع كل إنسان في كل زمان ومكان ، متناسقة مع مطالب الحياة، وتطور الواقع ، وكرامة الإنسان ، وخدمة الدين والوطن .

(٦) فلا بد من مطالعة كتاب (**البداية**) ، و(**الدليل المجمل**)، و(**المنهج**)، وأعداد مجلة (**المسلم**) ، وكتاب (**البيت المحمدي**) ، ثم الكتب الأساسية (**أصول الوصول - أبجدية التصوف - الوسيلة والقبور**) لتدفع عن قلبك

وعقلـك مـا يثـيره خصـوم التصـوف وأدعيــاؤه من شُـبَه مُضلِّلة واستشــكالات باطلة، تعصباً لغير وجه الله .

(٧) **يشترط عنـدنا لقراءة الأوراد والأحزاب والأذكار والأدعية (منفـرداً أو في جماعـة)**: حسـن التوجـه ، وتمـام الأدب ، وصحـة النطق ، والفهم ولـو إجمالاً ، واسـتحضار الرابطة الروحيـة ، بعـد التوبة والاسـتغفار والاسـتفتاح بشيء من كتاب الله وأدعية رسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

(٨) **نحـن نحب جميع أولياء الله ، أحياءً وموتى ، من كل مذهب ومشرب شرعي ، ونتبرك بهم جميعاً** ، وكما لا نفرق بين أحد من رسـله تعـالى ، لا نفرق بين أحد مـن أوليائه الصالحين ، ونترك الحكم بالأفضلية بينهم إلى الله ، الذي لا يعلم الغيب سـواه ، ونقـرر أن مـن ادعـى الولايـة فهـو كاذب ، فالولي لا يعلن عن نفسه .

والله الموفق المستعان .

* * *

من أقوال شيخنا الإمام الرائد
في النصيحة للإخوان والمريدين

هـذه مجموعة من الأقوال الطيبة الجامعة، والحكم النافعة، كتبها نصيحـة لتلاميـذه شـيخنا الأسـتاذ الإمام محمـد زكي إبراهيـم رائد العشيرة المحمدية رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه:

١ - الإخوان روح واحدة في أجساد متعددة.

٢ - والإخوان أغصان متعددة من سرحة واحدة.

٣- الكسل واليأس من مفاتيح الذل والضياع.

٤ - عليك العمل، وعلى الله النتيجة.

٥ - العمل مع الغفلة خير من الغفلة عن العمل.

٦ - التوكل على غير الله تأكل، وأعظم الكرامة لزوم الاستقامة.

٧- لا تكون الزهادة بالجهل والبلادة، وإنما هي بالجد والاستفادة، وإجادة العبادة.

٨- لا يكـون الـولي مـن رجـال الدعـاوى والظهـور، وإلا فقد استدرجه زور الفجـور، وغره بالله الغـرور، وكان في دنياه في روض ومن أخراه في تنور.

٩- الخـير والشر عـدوى وتقليد، فأصلح الفـرد تصلح الأسرة، تصلـح أخرى، تصلـح الناحية، تصلـح المجموعة، تصلح الأمـة.

١٠- على الأخ في الله: السمع والطاعة، فليس أضيع من الجامح في سوق الرضا، ولا أحمق من الهارب من سيف القضا.

١١- الأخ الأمـي في ذمـة الأخ القـارئ، والأخ الفقـير في ذمـة الغنـي، والضعيف في ذمـة القوي، فميثاق الأخوة يسـجل الحقوق، ويرتق الفتوق.

١٢ - تتألف جمعية (زاوية) الإخوان من خمسة، كما قام الإسلام من قبل على خمسة، هم:

(١) المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

(٢) أول من أسلم من الرجال (أبو بكر).

(٣) أول من أسلم من النساء (خديجة).

(٤) أول من أسلم من الموالي (بلال).

(٥) أول من أسلم من الصبيان (علي). عليهم الرضوان .

١٣- يجب أن تعظ الناس بأفعالك قبل أن تعظهم بأقوالك، فالناصح بغير حاله كالمنفق من غير ماله.

١٤- لا تورط نفسك في الكماليات، وجاهدها في ترك جميع المكيفات، ولا تجعل عليك سلطاناً لشهوة من الشهوات، واصبغ بيتك وقولك وعملك بصبغة الإسلام.

١٥ - لا تفرط في الدِّين، ولا تتنطع فيه، واعمل جهدك بالسنن، واعلم أن التقوى في القلوب، والتزم الكمال والوقار والجد، وإياك وفضول القول والعمل.

١٦- التمس العزائم، واستحضر نشاطك وهمتك، واعذر النَّاس إن أخطأوا أو قصروا، وإياك والكسل، وإياك واليأس من روح الله.

١٧- لا تنقطع عن مجالس الإخوان، وارض بأحكامهم، ونفذها بأمانة، واحفظ تعاليمهم العشرة عن ظهر قلب، واستظهر ما استطعت الأوراد والأحزاب والأدعية الخاصة بهم.

١٨- عوِّد لسانك النطق بالعربية، وثقف نفسك بالمعارف الإسلامية، وتعرف جهدك إلى السيرة النبوية، وفضِّل دائماً كل الأشياء الوطنية، والتقاليد العربية الإسلامية، وكن عملياً منفذاً ما اقتنعت به، غيوراً عليه.

١٩- احصر تعاملك بكل وسيلة مع الصناع والتجار والمحترفين من إخوانك، فإنَّما هم هم قرباك، وأحق بمودتك ونداك، وسدد ديونهم من زكاة مالك، ترض إخوانك ومولاك.

٢٠- اجعل لنفسك ورداً قرآنياً، واحمل المصحف صديقاً ووليّاً، واحفظ على الأقل أربعين حديثاً نبوياً، فإنّها زادك إلى يوم تبعث حيا.

٢١- اكتف بأقل كسب ممكن في معاملة الإخوان، واصدقهم، وأحسن إليهم بما فضلوك، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

٢٢- اجعـل من زكاة مالك وزرعك نصيباً مفروضاً لإخوانك، وأوص لهم بجزء من تركتك قبل موتك، وانو الحج واقتصد له من مالك وإن قل.

٢٣- ارجـع في استشـارتك وتقاضيـك واسـتفتاءاتك إلى كبـار إخوانـك في الله، فإنّهم عشـيرتك وحزبـك، لئلا تضل ولا تفتضح.

٢٤- اطلب العلم حيث كان، ولا تذكر إلا مع الإخوان، فالعلم مطالب تأتلف، والذكر مشارب تختلف.

٢٥- اعلـم أن كل من لك عليه حق الولاية مطلوب منك شرعاً أن تربيه على مبادئ الإسلام ونخوته، وتلقنه تعاليم الإخوان ودروسـهم، حتى يكون بيتك حرماً مسـلماً، فيصبح وحدة بذاتها من وحدات كتائب الإخوان في جيش الله تعالى.

***

*** و يقول شيخنا رضي الله عنه :**

- ليس الطريق لمن سبق ، إن الطريق لمن صدق .

- مَـنْ خالـف عنا فليس منا ، وإن انتسـب إلينا، ومسـئوليته فيما يأتيه عليه لا علينا .

- مَنْ اعتنق مبادئنا ، وقرأ أورادنا ، فهو منا ، وإن لم نره ولم يرنا.

*** و يقول شيخنا رضي الله عنه :**

الراغـب في مؤاخاتنـا ليبلغ كلمة الله تعـالى، ويؤدِّي واجب خلافته عن الله نحو نفسه وأهله ووطنه ودينه، على طُهْر ونظافة، ووضوح وانكشـاف، وتواضع مطلـق، وعلى رضاً من الله، ومن الشعب، ومن الدولة، بحمد الله تعالى .

فليعلم أولاً وأخيراً :

- أننا قلة فقيرة مؤمنة .

- وأنَّ قوتنـا في قلتنـا، وأنَّ فخرنـا في فقرنـا، وأنَّ سرَّ نجاحنا في إيماننا .

- وأننـا نؤمـن بالتعبـد والفضيلـة والعلـم والعمـل، وأننا نكره التفاخر والتظاهر والتكاثر والدعاوى .

- وأنَّ سبيلنا (الحق)، ولو لم يكن معنا أحد .

- وأنَّ وسـيلتنا التعبد والدعوة، والعلم والعمل، وحسـن الظن وحسن الخُلُق .

- وأنَّ مذهبنا (الحكمة والمسالمة).

- وأنَّ غايتنا (الله) تعالى وحده .

فـإن كان الراغـب في مؤاخاتنا قد أرضاه هـذا المذهب، فإن كان متصوفـاً بالفعـل فهـو على طريقتـه ومشربه وبركة شـيخه، يسـير معنا متعاونًا في تحقيق أهدافنا، ولا نطلب منه إلاّ أن يتزود بــ (المحمديـة) التـي لا يخطئها إلاّ محـروم؛ فــ (المحمدية) هي التسـامي بما أنت عليه إلى أعلى مراقيـه، وأن تحوِّل كل حركاتك وسكناتك وأفعالك إلي عبادات خالصة لله .

أمَّـا إذا لـم يكـن الأخ قد تصوف، فإن شـاء دللنـاه على من

نرجو أن يوصله إلى الله من السادة ، وإن شاء آخيناه على مشربنا الذي نمارسه في الله، سواء في ذلك الرجال والنساء والفتيان والفتيات .

* وصَلَّى الله على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ *

التصوف هو سبيل الإصلاح

« إن التصوف - وهو كما نسميه (علم فقه المعرفة)، وهو ما جاء به الوحي من علم وإيمان وعمل وخلق وجهاد واستعلاء - ضرورة حتمية لتحقيق النجاح العسكري والاقتصادي والاجتماعي والسياسي والعمراني وغيره . فهدف التصوف إصلاح الفرد، وبإصلاح الفرد يصلح المجتمع، لأن الفرد الصالح لا يصدر عنه إلا العمل الصالح، والأثر الصالح، ثم إن الصلاح عدوى والفساد عدوى، ومتى ما كثر الصالحون قَلّ في الطرف الآخر الفاسدون. وهكذا يبدو الأثر الطبعي التدريجي للتصوف الصحيح وأنه ضرورة أكيدة »

(الإمام الرائد)

ترجمة موجزة وتعريف
بفضيلة الإمام السيد

محمد زكى إبراهيم

رائدُ العَشيرة المحمَّديَّة

رَحِمَه الله تعالى رحمةً واسِعَة

كتبها

محيى الدين حسين يوسف الأسنوي

تلميذُ المؤلف ومن خريجي الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

حمـــداً لله، وصلاةً وسلاماً على مصطفاه، وعلى آله وصحبه ومن والاه، في مبدأ الأمر ومنتهاه.

وبعـــــد:

هذه ترجمة موجزة وتعريف بفضيلة شيخنا الإمام العارف بالله: سيدي **محمد زكي إبراهيم** رائد العشيرة المحمدية، وشيخ الطريقة المحمدية الشاذلية، رحمه الله تعالى رحمة واسعة . أكتبها بـما لزمته وأخذت عنه وخبرتُ علمه وفضلـه عن قرب ؛ وإنّ ما أنا ذاكره هنا ما هو إلا قليل من كثير، وغيض من فيض، من غير مبالغة ولا تهويل.

وقـد نشرت هذه الترجمة بـ (مجلة الأزهر الغراء) عقب وفاة شـيخنا رحمه الله مباشرة، ثـم نشرت عدة مرات بمجلة المسـلم، وقد زدتُ فيها هنا بعض الزيادات الضرورية النافعة، والله تعالى من وراء القصد، وعلى الله قصد السبيل.

وقد شرعتُ في كتابة ترجمة موسعة لشيخنا رحمه الله تعالى، تتناول تفصيل جوانب من حياته وفكره ومعارفه، أسألُ الله تعالى التوفيق لإتمامها، عسى أن يؤدِّي ذلك شيئاً من حقِّه الواجب علينا رحمه الله تعالى.

وإنّ العبرة من الترجمة الاقتداء والاستفادة، فلعلّ قارئ هذه الترجمة أن يصيب من علو الهمة ونفوذ العزيمة ما ينفع به نفسه والنّاس، ولعله يجد فيها فكرةً أو هدفاً فيشمِّر عن ساعد الجد في العمل على فكرته، أو الوصول إلى هدفه .

- مولده ونشأته:

هو شيخنا وأستاذنا الإمام الفقيه المحدِّث الشاعر، بقية السّلف الصّالح: **محمد زكي إبراهيم**، رائد العشيرة المحمدية، **اسمه**: محمد، **ولقبه**: زكي الدِّين، **وكنيته**: أبو البركات، شريف حسيني أباً وأماً .

ولد رحمه الله في القاهرة بمنزل والده بحي بولاق أبو العلا، وتاريخ مولده حسب ما هو مدوّن في أوراقه الرسميّة

(٢٢/ ٨/ ١٩١٦م)، فيكـون قد قضـى من العمر في هـذه الحياة الدنيـا (٨٢) عاماً، حسـب ما هو مـدوّن في الأوراق الرسـميّة، إلا أن عنـدي مـن الأسـباب العلمية والتاريخية مـا يجعلني أؤكد أن الشـيخ رحمه الله قد ولد قبل هـذا التاريخ بنحو عشر سـنوات تقريبـاً، ثـم تأكّـد لي ذلك تمامـاً فرأيت بخط شـيخنا رحمه الله أن مولـده كان في (٢٢/ ٨/ ١٩٠٦م)، فيكـون عمـره الفعلي (٩٢) عاماً، قضاها في جهاده ودعوته، في علمٍ وعمل .

ووالد الشـيخ: هو العالم الأزهري الشيخ إبراهيم الخليل بن علي الشـاذلي، صاحب كتـاب « **المرجع: معالم المـشروع والممنوع من ممارسات التصوف المعاصر** »، وله سلسلة مقالات نشرت في جريدة الإخوان سـنة ١٩٣٢ م، كـما أن له بعض المقطوعات من الشـعر الرُّوحي الرائق، وقد جمعتُها مـع نبذة عن حياته وطبعت في رسالة مطبوعة[1] .

وجَدّ الشـيخ لأمه: هو الشيخ محمود أبو عليان، أحد شيوخ

---

(١) في عدد خاص بالإمام إبراهيم الخليل الشاذلي، من نشرة أهل الصفة.

الطريق العلماء المجددين، تتلمذ على يد الشيخين الجليلين الشيخ حسن العِدْوي الحمزاوي، والشيخ عليش شيخ مالكية عصره، وقد أثنى عليه ومدحه وترجم له الدكتور عبد المنعم خفاجي في كتابه عن التصوف[1].

فوالد الشيخ وجده لأمه كلاهما جمع بين مشيخة الطريق الصوفي (التربية والإرشاد والتزكية)، والعلم الأزهري، ويعتبر جهادهما امتداداً لجهاد أعلام المدرسة الأزهرية في القرن الماضي، كالشيخ علي الصعيدي، والشيخ أحمد الدردير، والشيخ الأمير الكبير، والشيخ عليش، والشيخ حسن العِدْوي، وأضرابهم.

والمدرسة الأزهرية مدرسةٌ علمية صوفية إصلاحية، كان لها عظيم الأثر في حفظ العلوم الأزهرية، وتنقية التصوف من كثير مما شابه من بدع وحوادث، كما كان لها أثر واضح في الحياة الاجتماعية والسياسية .

---

(١) انظر: التصوف في الإسلام وأعلامه، للدكتور محمد عبد المنعم خفاجة، ص ٩٩، ١٠١ .

تـخرجـه في الأزهر:

نشـأ شـيخنا الإمـام الرائـد في هـذا الجـو العلمـي الصُّوفي الأزهـري، ممّـا كان له أكبر الأثـر في تكوينه العلمـي والرُّوحي، فتلقـى العلم ابتـداءً على يد والده، وحفظ القرآن على يد الشـيخ جـاد الله عطيـة في مسـجد السـلطان أبي العـلاء، والشـيخ أحمد الشريف بمسـجد سـيدي معروف، وكان حينئذ ما بين التاسـعة والعاشرة من عمره .

ثُـمّ التحـق بمدرسـة (درب النشـارين الابتدائيـة)، وكان الابتدائـي حينئذ يـوازي المرحلة الإعدادية الآن، ثـم انتقل منها إلى مدرسـة (نهضة بولاق الكبرى)، وكانت من أشهر المدارس في ذلك الوقت .

ثُـمّ التحق بالأزهـر الشريف فأخذ فيه المرحلـة الثانوية، ثُمّ مرحلة العالمية القديمة، وليس بين يدي الآن ما أعرف منه تاريخ تخرجـه في الأزهر على وجه التحديـد، وإنْ كانت الدلائل تحصر ذلك في الفترة ما بين ١٩٢٦م إلى ١٩٣٠ م .

وقد ذكر لي الشيخ رحمه الله كيف أدَّى امتحان العالمية ؟! وكان ذلك في مجلس خاص معه (وهو مسجَّل عندي بصوته)، فكان مما قاله رحمه الله:

« كُنّا يوم الامتحان نصلي الفجر في مسجد الإمام الحسين (الطالب واللجنة)، ونحضر درس الشيخ السمالوطي بعد الفجر، وكان يحضره العلماء باعتبارهم تلاميذ للشيخ، ثُمّ ننتقل لصلاة الضحى في الأزهر الشريف، وتذهب اللجان إلى الرواق العباسي في عدة غرف، في كُلِّ غرفة لجنة، ويدخل الطالب ومعه أوراقه وكتبه التي تم تعيين الامتحان فيها، وكان رئيس اللجان الشيخ عبد المجيد اللبان رحمه الله، وظللتُ أمام اللجنة حتَّى أذان العصر، وعند ذلك ختم الامتحان بالصّلاة الشّافعية (**اللهُمَّ صلّ أفضل صلاة على أسعد مخلوقاتك سيدنا محمد وعلى آله ..** إلخ)، وكان الختم بهذه الصيغة إيذاناً بنجاح الطالب وحصوله على العالمية الأزهرية.

وأذكر أنهم حددوا لي في علم البيان (تحقيق الخلاف بين

السعد والسيد في الاستعارة المكنية) السعد التفتازاني والسيد الجرجاني .. وفي النحو باب المبتدأ والخبر، وفي التفسير آية: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ الآيــة [آل عمران: ٧] ».

هذا ملخص ما ذكره لي شيخنا رحمه الله تعالى عن امتحانه العالمية الأزهرية .

رحلة مع القرآن الكريم:

بدأت رحلة شيخنا الإمام محمد زكي إبراهيم رائد العشيرة المحمدية رحمه الله مع القرآن الكريم منذ صغره، فبدأ بحفظ القرآن الكريم مبكراً - كما ذكرتُ آنفاً - على يد الشيخ جاد الله عطية بمسجد السلطان أبي العلاء حيث كانت تقيم أسرته، وأتم حفظه عن ظهر قلب على يد الشيخ أحمد الشريف بمسجد سيدي معروف، وكان حينئذ بين التاسعة والعاشرة من عمره . وفي الأزهر الشريف اعتنى بكتاب الله تعالى وتفاسيره، وكتب إعرابه ومعانيه، وقراءاته، وعلومه بأنواعه، وقد ظهر أثر ذلك

واضحاً جلياً في حياته الدعوية (خطابة وتدريساً وتأليفاً وفتوى وإرشاداً).

فقد كان مجلس درسه رحمه الله مليئاً بفرائد الفوائد القرآنية النادرة، قلما ذكر حادثةً أو حكماً أو موعظةً إلا ودليلها من كتاب الله تعالى في المقدمة، والكثير من دروسه هو شرح لآيات من كتاب الله تعالى، ولا أنس يوماً شرح في درسه سورة (الرحمن) آية آية، فبدأ بمعنى اسمه تعالى (الرحمن) وأنه جامعٌ لصفات الجمال والجلال، ثُمّ ذكر أسماء سورة الرحمن، ومنها أنها تسمى عروس القرآن، ثُمّ عرّج على قصة سيدنا عبد الله بن مسعود وجهره بآيات من سورة الرحمن على أهل الشرك وعبادة الأوثان، ثُمّ انطلق في معاني آيات سورة الرحمن، وروى حديث الجنّ كلما سمعوا قول الحق ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ فكانوا أحسن مردوداً من الإنس وقالوا: « **لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد** »[1]. إلى آخر ما في هذه السورة من معاني عظيمة جليلة، في درسٍ استمر قرابة ثلاث ساعات .

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٩١).

وإنك لتجد بين ثنايا دروس فضيلة الإمام الرائد من الفوائد العظيمة والمعاني الشاردة الجليلة، فشرح يوماً معنى قول الحق: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ وأفاض في تاريخ البيت الحرام، ومعنى بكة ومكة .. إلخ .

ويوماً كان يشرح قول الحق تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾ فكان مما قال: إنّ من رضي الله تعالى عنهم يلهمهم الإجابة فيقول أحدهم: غرني كرمك يا رب، ألا ترى أنه لم يقل: ما غرك بربك الجبار أو القهار أو المنتقم .

وأخبرني شيخنا العلامة الدكتور أحمد طه ريان حفظه الله، أنه كان لشيخنا الإمام الرائد درس في التفسير في بيته في شارع سليمان باشا، وأنه كان قارئ الدرس، الذي يقرأ آيات من كتاب الله تعالى، ثم ينطلق الإمام الرائد في تفسيرها.

وقد تميّزت الاحتفالات الدينية التي كان يقيمها رحمه الله بأصوات الشيوخ الأجلاء من الحفّاظ المتقنين، أصحاب الأداء

المميَّز، وهنا أذكر أول لقاء للقارئ الطبيب أحمد نعينع بالشيخ رحمه الله، إذ بعد أن قرأ الشيخ أحمد نعينع انطلق الإمام الرائد يبين للحاضرين خفايا بعض أحكام التلاوة عند حفص، ويشرح بعض وجوه القراءات ما يبهر العقول .

*** وكان رحمه الله تعالى يحثُّ على المحافظة على الورد القرآني اليومي، وتفصيله:**

١ - قراءة ما تيسر من القرآن يومياً، ولو آيات قليلة، حتى يختم القرآن، ثم يبدأ فيه من جديد، وهذا شأن الحال المرتحل كما ورد في الحديث الشريف .

٢ - قراءة سورة (الواقعة) بعد صلاة الفجر، و(الرحمن) بعد العصر، و (يس) بعد المغرب، و(تبارك الملك) بعد العشاء، و(الدخان) ليلة الجمعة، و(الكهف) يوم الجمعة، وقد فصّل دليل قراءة هذه السور وفضلها في كتابه (أصول الوصول) وفي غيره من كتبه رضي الله عنه .

٣ - قراءة السور والآيات ذات الخصائص، والفضل

العظيـم، والأجر الكبـير، مما ورد فيها أنها تعـدل ثلث القرآن أو ربعه، كسـورة الإخلاص، والكافرون، والزلزلة، وآية الكرسي، وخواتيم البقرة، ونحو ذلك .

فكلُّ هذا من السـنن المؤكدة، والمسـتحبات، والفضائل، ممَّا هو ضروري للسّـالك إلى الله تعالى، المترقـي في درجات الكمال، بعد محافظته على الفرائض والواجبات، وأدائها على أكمل وجه في أوقاتها، إذ لا بـد للسالك إلى الله من معرفة مراتب الأعمال، وأن يكـون فقيهاً بالأولويات، عليـماً بالضروريات، فلا يهتم بالفروع ويترك الأصـول، ويقضي وقته في النوافل مـع إهماله الواجبات، فيكـون كمن يزين جداراً هشـاً لا أسـاس له، يوشـك أن ينهار، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وفضلاً عن اهتمام شـيخنا رحمه الله بالقرآن في مجالس علمه، فقـد كان رحمـه الله كثـير التـلاوة لـه، يحث عـلى مجالـس تلاوته ومدارسـته، فعمرت مسـاجده بالمجالس القرآنية تلاوةً وتحفيظاً وتعليم أحكام، واهتمّ بالكتاتيب، وحثَّ عليها .

*** وقد كتب عدّة مؤلفات قيّمة حول كتاب الله عزَّ وجل، منها:**

١) **الإسكات بركات القرآن على الأحياء والأموات**، وهو مطبوع، حول الأوراد القرآنية، ومعاني الاختيار والتفضيل بين السور والآيات وهو بحث نادر، وخصائص القرآن، وفضائل بعض سوره، وانتفاع الميت به، والتداوي والرقية والعلاج بالقرآن .

٢) **حول معالم القرآن**، وهو مطبوع، عبارة عن معلومات وحقائق لا يستغني عنها عالم ولا معلِّم ولا متعلم، وثقافة قرآنية أساسية، بمنهج علمي، مع ذكر الدليل، على طريقة تجمع بين الفقه والحديث .

٣) **معارج البهاء الأقدس لمحات من فقه المعرفة ودرس في التوحيد من سورة الإخلاص**، وهو مطبوع أيضاً ، حول سورة الإخلاص وفضلها وما حوته من معاني التوحيد، جمعاً بين العقيدة والتفسير والتصوف، وعلى صغر حجم هذا الكتاب، فإن مادته العلمية متخصصة، وعبارته محققة موجزة .

٤) **تفسـير آيات مختارة من كتاب الله تعالى**، كآيات البر من سورة البقرة، وأوائل سورة الإنسان، وغيرها، وهو ما زال مخطوطاً، أسأل الله تعالى أن يوفق لطباعته .

٥) **لحظات التجلي، تفسـير مختارات من سور القرآن**، منها التوبة والحجرات، وقد فقد في حياة شيخنا رحمه الله عند نقل مكتبته كما أخبرني، ولم يتسن لي الاطلاع عليه.

٦) **بحوث في لغة القرآن**: وهي مجموعة من البحوث في مفردات القرآن وكلماته، ومـا فيها من إعجاز لغوي وتركيب فريد، وقـد تطرق فيها لشيء من علوم القرآن الكريم، نشر بعض هـذه البحوث بمجلة منبر الإسـلام التي يصدرها المجلس الأعلى للشـئون الإسـلامية، وبعضها أذيع في برنامج (لغة القرآن).

هذا، عدا الدراسـات والبحوث والمقالات القرآنية المتناثرة بالمجلات الإسـلامية، وفي مجلته (المسلم)، والتي أخص بالذكر منها بحثاً نادراً عن التفسـير الإشاري وتفاسير السادة الصوفية، وقد اتخذته عُمْدة في رسـالتي « **التفسير الإشاري للقرآن، دراسة**

علمية تأصيلية ». ولشيخنا بحث قيِّم في التداوي بالقرآن، وآخر فريد في معاني الاختيار والتفضيل لبعض السور القرآنية .

ومما ينبغي أن يذكر - في مجال ذكر الفضل لأهله - أنَّ شيخنا رحمه الله تعالى كان مِنْ أول مَن نادوا بتسجيل القرآن الكريم برواية (الدوري) وبقية القراءات، وهذا مسجل في مجلة المسلم في وقته . وقد كان الأستاذ لبيب السعيد وكيل عام وزارة الأوقاف وأمين العشيرة المحمدية الثقافي وقتها هو أول من سجّل تلاوة القرآن على أسطوانات .

شيخنا ورواية الحديث الشريف:

بالإضافة إلى ما تلقاه من الفقه والتفسير والحديث وسائر العلوم الشرعية بالأزهر الشريف اهتمَّ شيخنا الإمام محمد زكي إبراهيم اهتماماً خاصاً بتلقي علم الحديث (رواية ودراية) على يد الشيوخ الرواة المحدِّثين ؛ في وقتٍ قَلَّت فيه رواية الحديث، وأصبح رواة الحديث ومن يهتم بعلومه في مصر والعالم الإسلامي قلة نادرة تعد على الأصابع .

ونجد اهتمام شيخنا رحمه الله بالحديث رواية ودراية واضح المعالم في مؤلفاته، وقد نقل عنه الشيخ الحسيني هاشم والدكتور أحمد عمر هاشم في كتابهما (المحدِّثون في مصر) أن أكثر مؤلفاته على طريقة أهل الحديث، وانظر لذلك مثلاً رسالته في ليلة النصف من شعبان، ورسالته في الحديث الضعيف .

وقد أجازني رحمه الله بخط يده بمروياته في الحديث والفقه والأصول واللغة ومما جاء في إجازته:

« وأخيراً .. وبالتالي وعلى الإجمال ؛ فإنني أروي قراءة، وسماعاً، ووجادة، وإجازة، بالإذن الموصول والمكرر بالأثبات، والجوامع، والفهارس، والأسانيد، والمعاجم، والمسلسلات، والمختصرات، عن أشياخي الأماجد الأكرمين: سيدي محمد حبيب الله الشنقيطي، وسيدي علوي بن عباس المالكي الحسني، وعن سيدي أحمد الصديق الغماري، وشقيقه السيد عبد الله الصديق الغماري، وسيدي محمد زاهد الكوثري، نائب عام شيخ الإسلام بتركيا قبل الانقلاب (أي على الخلافة العثمانية) وسيدي أحمد عبد الرحمن البنا، وسيدي الشيخ

المُعمّر السيد محمد عبد الله العربي العاقوري الليبي المصري، وسيدي الشيخ إبراهيم الغلاييني الدمشقي، وسيدي الشيخ حسن حبنكة الميداني السوري، وسيدي الشيخ الببلاوي المصري، وسيدي الشيخ حسنين مخلوف المفتي المصري، والشيخ الحسيني أبو هاشم الأزهري المصري، والشيخ المبشر الطرازي مفتي البلقان وآسيا الوسطى قبل الشيوعية، والشيخ يوسف الدجوي المصري، وسيدي الشيخ محمد بخيت المطيعي المفتي المصري، وسيدي الشيخ محمد الحافظ التيجاني، والشيخ أحمد عبد الجواد الدومي، والشيخ الخضر حسين المغربي من شيوخ الأزهر، والأمير عبد الكريم الخطابي مجاهد المغرب، والسيد اليمني الناصري الشاذلي المغربي المجاهد، والشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف الأزهري من علماء الحديث بمصر، وبقية أشياخي ممن سبق ذكر بعضهم رضي الله عنهم .. وعن والدي السيد إبراهيم الخليل بن علي الشاذلي، بأسنادهم المحررة بأثباتهم، عن أشياخهم عموماً بمروياتهم من التفسير، والحديث، والفقه، والأصول، والمنطق، والسيرة، والمصطلح،

وعلـم الرجــال والتوحـيد، وعـلوم القـرآن، والعقائد، وفروع اللغـة العربية، والثقافة العامة، والتصوف الصحيح، وخصوصاً كتب القشـيري والغزالي والسـهروردي وغيرهـم مما أشرت إليه وما فاتني أن أشير إليه . اهـ

وله شيوخ آخرون غير من ذكرهم بهذه الإجازة الحديثية.

ولم يتصدر شـيخنا رحمـه الله لإعطاء الإجـازة بالحديث إلّا لنفرٍ محدود من كبار العلماء في العالم الإسـلامي، فلمّا كانت سـنة (١٤١٤ هـ) اسـتجازه عدد من العلماء والطلبة فامتنع، فلمّا كثر الإلحـاح عليـه، طبـع إجازته الحديثيـة، وأجاز طلابـه، وكل من اسـتجازه، وأجاز أهل عـصره إجازة عامة كما هـو معروف عند أهل الحديث والأثر .

وقد اسـتجازه بعد ذلك مئات من المشـتغلين بعلم الحديث النبوي الشريف، من أسـاتذة الأزهر وشـيوخه بمصر، وأساتذة الجامعة الإسـلامية والجامعات السـعودية، وأسـاتذة جامعة آل البيت بـالأردن، وجامعـة الأحقاف باليمـن، وجامعة القرويين

بالمغـرب، وغيرها من الجامعات العربية وغيرهـا في أنحاء العالم الإسـلامي والدعاة بالمراكز الإسـلامية بالغـرب، فأجاز الجميع حتى إنه طبع إجازته بالمرويات عدة مرات في فترة وجيزة .

العالم الأزهري الفقيه:

ولم يقل اهتمام شـيخنا بالفقه واللغـة وبقية العلوم الأزهرية عـن اهتمامه بالحديث الشريف وروايتـه، فقد كان رحمه الله فقيهاً لا يشـق له غبار، حنفـي المذهب، أخبرني رحمـه الله تعالى بذلك، وأخبرني أنه يتعبد ويفتي به وبغيره من المذاهب الفقهية، حسـب مـا يقتضيـه الدليـل والمصلحـة والتيسـير في حـدود القواعـد، وكان كثـيراً ما يفتي بمذهب مالك ويمدحـه، كما يفتي بمذهب الشافعي، ويقول: شيخنا، رضي الله عنهم جميعاً .

وقـد ضمـن كتابه « **الفـروع الخلافيـة** » نظرتـه إلى الخلاف الفقهي بـين الأئمة ووجوب احترامهم جميعـاً، وقد وضح ذلك تماماً في بحوثه الفقهية وفي فتاويه . وانظر مثلاً: كتابه في الصلوات النافلة، وكتابه معالم المجتمع النسائي في الإسلام .

الشيخ والثقافة المدنية:

وقد تعلم الشيخ رحمه الله الإنجليزية في المرحلة الابتدائية، وتعلم الفرنسية على يد الأستاذ داود سليمان من أعيان أسيوط، والألمانية بالقاهرة على يد الأستاذ راغب والي، وكان مدرساً بالمدرسة الألمانية بالقاهرة، وقد ترجم الشيخ بعض قصائد الشاعر الألماني (هايني رش هايني) من الألمانية إلى العربية، وتعلم الفارسية على يد الشيخ محمد الأعظمي الإيراني عضو جمعية الأخوة الإسلامية، وترجم عدداً من قصائد إقبال إلى العربية، بعضها منشور بمجلة (أبولو) .

وعندما اتهم بعضهم الشيخ بأنه شيخ أزهري (معمم ومقفطن) لا يدري من علوم الدنيا شيئاً إذا بالشيخ يرد عليه بما نصُّه:

« كتب إليّ كاتب، يعنفني بأنني أحبس نفسي في قمقم التصوف، وأتقوقع في صدفة التدين المتأخر، وأعيش متخلفاً في عصور الجمود الماضية، بينما نحن في عصر تقدمي متحضر لم تعرفه دنيانا من قبل ...إلخ . والذي أحب أن يعرفه هذا الأخ

وأمثالـه، أننـي وأنا رجـل معمَّـم مقفطـن لا أزال أثقف نفسي، وأزودهـا بكل ثقافة مـن المشرق أو المغرب، باحثـاً عن الحكمة، جارياً وراء الحقيقة، كلما أذنت لي صحتي وأوقاتي وقدرتي .

فكـما أقـرأ تاريـخ الإسـلام والفلسـفة وتـدرج المذاهـب، ونشوء الفرق والنحل، وأتابع الصوفية والسلفية، وتطور تاريخ المسـلمين، وأتابـع أدباء العـرب وقصاصيـه وناقديـه ومهرجيه ومفسـديه . كذلـك أدرس ملامـح الفـن القوطـي وتدرجـه إلى الريسـانس، إلى الكلاسيكية القديمة فالجديدة، إلى الرومانتيكية، إلى التأثرية، إلى الواقعية، إلى الرمزية، إلى الالتزامية، إلى التجريدية، حتى بيكاسوا في التصوير، وأندريه في الأدب، واسترافنسكي في الموسيقى !! .

وأنـا أقرأ لشكسـبير، وبوب، وشـيلي، وبيكـون، وهيجل، وفلامريـون، وجيتـه، ونيتشـه، إلى سـارتر، وسومرسـت مـوم، وبرترانـد رسـل، وأقـرأ كذلـك رونسـار، وفارلـين، ورامبـو، وبودلير، وأفرق بين لوحات جنيسـبورو، ورينو لدزر، وأميز في

مدارس الموسيقى بين صامويل جونسون، وبوالوا، إلى كل ما يتعلق بفن المسرح والسينما ..إلخ .

فلست بمقمقم ولا مقوقع ولا جامد، ولا متخلف بحمد الله، إنني أعيش في عصري مندمجاً فيه ثقافة ودعوة ومعاشاً، غريب عنه أخلاقاً وعبادة واتجاهاً، ولكن على قدر مقدور لا بد منه للدعاة إلى الله ».

هذا ما كتبه رحمه الله، مما يوضح جوانب ثقافته المدنية، التي حصل على قسط وافر منها، ومع ذلك لم ينجرف مع تلك التيارات أو هذه، بل انتقى من تلك الثقافات ما تقره الشريعة الإسلامية، ويفيده في دنياه وآخرته، فكان رحمه الله تعالى آية في فهم الفكرة الإسلامية الوسطية الأصيلة، كما كان آية في فهم ما حوله من الجماعات والجمعيات وأصحاب الفكر، على اختلاف توجهاتهم، واكتفى بمعرفة (غير المفيد) من باب الثقافة فقط، أو من باب (معرفة الشر لتوقيه) . وقد حارب الفلسفات الغريبة وسيء هذه المعارف والثقافات بلسانه وقلمه رحمه الله ونفعنا به وبعلومه في الدارين. آمين.

ثـناء العـلماء عـليه:

وقـد ترجم لشـيخنا الإمام محمد زكي إبراهيـم، وأثنى عليه عدد كبير من علماء مصر والعالم الإسلامي، منهم:

١) الإمـام الدكتور عبد الحليم محمود شـيخ الأزهر في كتابه (المدرسـة الشـاذلية)، ونشر لشـيخنا خطاباً في كتابه « أبو مدين الغـوث»، كما نشر بنفس الكتاب قصيـدة لأبي مدين الغوث مع شرح شـيخنا لها، وقدّم له شـيخنا رحمه الله تحقيقه لكتاب « المنقذ مـن الضـلال» في طبعاته الأولى، وقـرأت بخط الإمـام الدكتور عبد الحليم محمود ينعت شيخنا بالعارف بالله .

٢) الشـيخ الحسـيني أبو هاشـم والدكتور أحمد عمر هاشم في كتابهـما المشـترك (المحدِّثـون في مصر) وقد ترجما فيه لشـيخنا ترجمة طيبة وافية، ذكرا فيها اهتمامه بالجانب الحديثي وأسـانيده، ومؤلفاته، وطريقته في التأليف والعلم .

٣) وأثنـى عليـه وعـلى العشـيرة المحمدية المحدث الشـيخ عبد الله بن الصديق الغماري في كتابه (سبيل التوفيق)، وفي آخر كتابـه (بـدع التفاسـير)، وفي غير مؤلـف لـه، وكان بينهما مودّة

عظيمة، وكان شيخنا رحمه الله تعالى ممن ثبت معه حين تنكر النّاس له لمّا اعتقل في عهد عبد الناصر، ومكث في السجن الحربي أحد عشر سنة كاملة، وكان السيد عبد الله بن الصديق الغماري كاتباً ومفتياً بمجلة المسلم وعضواً بمجلس علماء العشيرة المحمدية .

٤) **وأثنى عليه وذكر شيئاً من نشاطه في الدعوة إلى الله الشيخ الداعية أبو الحسن الندوي** في عدة مواضع من كتابه المشهور (مذكرات سائح في الشرق)، حيث زار العشيرة المحمدية، وسمع خطبة الجمعة من شيخنا رحمه الله، وخرج معه في رحلة دعوية ريفية ببعض الأقاليم المصرية، ولما كتبه الندوي في كتابه هذا أهمية خاصة، فقد وصف الجانب الدعوي والخطابة عند شيخنا رحمه الله وصفاً دقيقاً.

٥) **وذكره فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقوري** في كتابه (قطوف) الذي نشرته مؤسسة الأخبار، والذي ذكر فيه عدداً من الصُّوفية الأتقياء وجهادهم في نشر الدعوة والإصلاح كالمراغنة والأدارسة والسنوسية، وذكر شيخنا الإمام الرائد كأنموذج للصوفي العالم العارف المجاهد في هذا العصر، وبين

الشيخ الباقوري وشيخنا رحمهما الله رحلة كفاح وجهاد في سبيل إصلاح قوانين الطرق الصوفية .

٦) ورغم ما كان بين **الداعية الإسلامي الشيخ محمد الغزالي السقا رحمه الله** وبين شيخنا رحمه الله من مناظرات ومساجلات استمرت شهوراً على صفحات المسلم ولواء الإسلام والأخبار إلا أنه كان دائم الثناء على الشيخ رحمه الله، عارفاً لقدره، سجل ذلـك في تلك المسـاجلات وفي غيرهـا من مقالاتـه، وفي كتابه (الجانـب العاطفـي في الإسـلام)، وقد كان لهما نـدوات دينية مشتركة بجمعية (الشبان المسلمين العالمية) وبعض الجمعيات الكبرى بمصر.

٧) **وقـد أرخ الدكتـور عبـد المنعـم خفاجـي** في كتابـه عـن التصوف الإسلامي لكبار شيوخ التصوف الإسلامي فذكر منهم جدّ الشـيخ لأمه الشـيخ محمود أبو عليان، ثم ذكر شـيخنا الرائد رحمه الله في المعاصرين، وأثبت بعضاً من أفكاره في سبيل إصلاح التصوف كفكرة الجامعة الصوفية والمكتبة الصوفية وغيرها .

٨) العارف بالله الشيخ أحمد رضوان البغدادي الأقصري، وقد كان بينهما مودة عظيمة، ومراسلات مفيدة كثيرة مشهورة، طبع بعضها بمجلة المسلم، وقد أوصى الشيخ أحمد رضوان بأن يقوم الشيخ رحمه الله بغسله وتكفينه وتجهيزه، فكان كما قال.

كذلك كان لشيخنا صلات طيبة بأعلام الشيوخ المربين في مصر والعالم الإسلامي.

هذا ما حضرني الآن، وهناك الكثير من السّادة العلماء ممن أثنوا على الشيخ أو ترجموه في كتبهم، منهم علامة الحجاز السيد علوي بن عباس المالكي، وولده المجاهد السيد الدكتور محمد علوي المالكي، والعلامة الشيخ محمد الحافظ التجاني، والشيخ العارف بالله أبو المحاسن محمد سعد بدران، والإمام العارف الشيخ عمران الشاذلي، وعشرات غيرهم، وفي أعداد المسلم التي صدرت مواكبة لرحيله عشرات الكلمات لأجلة علماء الأزهر ومشايخه، وقد ترجمه مؤرخ الأزهر الدكتور محمد رجب البيومي بمجلة الأزهر .

وظائفه ومناصبه:

بعد أن حصل الشيخ رحمه الله على العالمية الأزهرية لم يجد عملاً في ذلك الوقت، حتى تقَدَّم للتدريس بالمدارس الأميرية بمحافظة بني سويف، وظل هناك مؤدِّياً عمله عدة سنوات، ثم عاد إلى القاهرة مدرساً أيضاً، وظل يتدرج في وظائف التعليم المختلفة، حتى أصبح رئيساً للسكرتارية العامة للتعليم الحر المسمى بالتعليم الخاص الآن، ثم عين مفتش قسم، وكان القسم وقتها يعني القسم الإداري .

وقد عمل أيضاً: أستاذاً ومحاضراً للدراسات العليا بالمعاهد العالية ومعهد الدراسات الإسلامية ومعهد إعداد الدعاة، وحاضر أيضاً بالدراسات العليا في بعض الكليات الأزهرية ودورات إعداد الأئمة والوعاظ والبعوث الإسلامية .

وعمل بعض الوقت مديراً لمؤسسة (الزفاف الملكي)، والتي سميت بعد الثورة (مؤسسة البر الأميرية)، كما كان أميناً عاماً لجمعيات الشبان المسلمين ومرشداً دينياً، وعمل بعدة مناصب أخرى، وأخيرا تفرغ لإدارة جمعية العشيرة المحمدية، ونشر فكرتها ودعوتها ومنهجها .

اشتغاله بالصحافة والمقال:

اشتغل شيخنا الإمام محمد زكي إبراهيم رحمه الله بالكتابة في الصحف والمجلات السيارة (الأدبية والعامة والإسلامية)، منذ أواخر العشرينات ؛ فكتب في مجلات: الأزهر، ومنبر الإسلام، واللواء الإسلامي، وعقيدتي، والأخبار، والأهرام، والجمهورية. كذلك كتب في: لواء الإسلام، والإسلام، والمسلم، والخلاصة، والعمل، والرسالة الإسلامية، والتصوف الإسلامي، وجريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، والسياسة الأسبوعية،والنهضة الفكرية، والفجر، وأبولو .. وغيرها من المجلات .

وقد أسس شيخنا رحمه الله جماعة (الروّاد الأوائل)، وكان يقوم بتحرير مجلتها (التعارف) .

واشتغل في الخمسينات بتحرير وإدارة مجلة (الخلاصة) لصاحبها الأستاذ سيد مصطفى، أمين رابطة الإصلاح، ثم بتحرير وإدارة مجلة (العمل) لصاحبها الأستاذ عبد العليم

المهدي، ثم أسس مجلته (المسلم) سنة ١٩٥٠ م، وقام بوضع منهجها وتحريرها وإدارتها وتطويرها والإشراف عليها إلى وفاته رحمه الله .

وقد تنوعت مقالات الشيخ وكتاباته ؛ فكان منها المقال الديني، والاجتماعي، والتاريخي، والأدبي، والسياسي، وكان منها البحث الأكاديمي، والمقال الصحفي .

مؤلفاته العلمية:

تمتاز كتابات شيخنا رحمه الله بالبيان والوضوح، وقوة العبارة وسهولتها، وتوفر الإخلاص أعطاها روحاً هي روح مَنْ أُذِن له بالكلام .

وقد ترك لنا شيخنا رحمه الله ثروة علمية هائلة: قريباً من مائة كتاب ورسالة في العلوم الدينية، كما ترك لنا مئات البحوث والفتاوى والمقالات والخطب والدروس (بعضها مكتوب وبعضها مسجل)، وقد وفقني الله لمراجعة وتحقيق وطباعة

بعـض كتبه في حياته رحمـه الله، وبعد وفاته، ومـن كتبه المطبوعة عدا ما سبق الإشارة له:

(١) **أبجدية التصوف الإسـلامي**: عـن أهم وأكثر ما يدور حول التصـوف الإسـلامي، فيـما هو له ومـا هو عليه، بـين أعدائه وأدعيائه .

(٢) **أصـول الوصول**: أدلة أهم معـالم الصوفية الحقة من صريح الكتاب وصحيح السنة .

(٣) **الخطـاب**: خطـاب صوفي جامع مـن الإمام الرائـد إلى أحد كرام مريديه .

(٤) **فواتح المفاتح**: الدعاء وشروطه وآدابه وأحكامه،

(٥) **أهـل القبلـة كلهـم موحـدون**: يبـين أن أهـل القبلـة كلهم موحدون، و كل مسـاجدهم مسـاجد التوحيـد، ليس فيهم كافر ولا مشرك، وإن عصى وخالف.

(٦) **الأربعون حديثاً الحاسمة** ردعاً للطوائف المكفَّرة الآثمة.

(٧) **حكم العمل بالحديث الضعيف**: حول جواز العمل بالحديث

الضعيف في فضائل الأعمال بشرطه عند علماء الحديث، وإن الضعيف جزء من الحديث المقبول عند أهل هذا الفن .

(٨) **مراقد أهل البيت في القاهرة**: يحقق أن رأس الإمام الحسين رضي الله عنه وجثمان السيدة زينب وغيرهما من آل البيت بالقاهرة، تاريخا وواقعاً .

(٩) **قضية الإمام المهدي**: في تأكيد أن المهدي حق، ولكن لم يأت زمانه بعد، عقلاً ونقلاً .

(١٠) **ديوان البقايا**: شعر صوفي واجتماعي فني معاصر عميق، في مجلدين.

(١١) **ديوان المثاني**: الجزء الأول، والجزء الثاني: مثاني من الأبيات الشعرية تستغرق أغراضا مختلفة، وحكماً وتوجيهات، وآداباً وصوفيات رائعة .

(١٢) **أمهات الصلوات النافلة**: الصلوات النافلة ومسائلها وأحكامها من الكتاب والسنة .

(١٣) **ليلة النصف من شعبان**: قيامها، فضلها، الدليل الحاسم على إحيائها .

(١٤) **عصمـة النبي ونجاة أبويه وعمـه:** ردٌ على أقوال المنكرين، وتأكيـد لعصمـة النبـي صلى الله عليـه وآله وسـلم، وحلول المشـاكل المدعـاة حولهـا بقواطـع الأدلـة، مع بحـث خاص بمعجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

(١٥) **معالم المجتمع النسـائي في الإسـلام:** أحكام وقضايا النساء المختلفة بأسلوب علمي ميسر .

(١٦) **فقه الصلوات والمدائح النبوية:** بحث جديد في فقه السيرة من الصلوات ومدائح الشـعر والنثر قـدمه للأزهـر في مؤتمر الفقه والسيرة العالمي .

(١٧) **السياسة بين الزوجين في الإسلام:** محاضرة أدبية اجتماعية، جمعت أطراف الموضوع .

ولـه غير ذلك من الكتب والرسـائل المطبوعة والمخطوطة، جمعتها في ثبت (فهرسـة) مطبوع، وتبلغ نحو مائة كتاب ورسالة فضلاً عن المقالات والمحاضرات .

الشيخ والدعوة إلى الله:

كان شيخنا رحمه الله مثالاً للداعية الإسلامي الرشيد الذي وهب كل حياته للدعوة، وبرغم مرضه الذي ألزمه بيته نحواً من عشرين عاماً، فإنه ما انعزل عن العالم أبداً، وما ترك عادته في الدرس والمحاضرة والدعوة، واستقبال عشرات الزوار يومياً، والرد على اتصالاتهم الهاتفية .

وكان من عادته أن يقرأ الصحف يومياً، متابعاً ما يحدث في العالم من أحداث وأفكار ودعوات، ويختار من تلك الجرائد والمجلات المقالات والقصاصات ويجمعها في أرشيف خاص حسب الموضوع.

أسس الشيخ رحمه الله جمعية العشيرة المحمدية رسمياً سنة (١٩٣٠م)، لتكون وسيلته للدعوة الإصلاحية الإسلامية الصّوفية، وجعل من مبادئه الاهتمام بالفرد والجماعة، ومن أقواله: « **المجتمع فرد مكرر: إذا صلح الفرد صلح المجتمع** ».

وقد عمل أميناً ورائداً دينياً لجمعية الشبان المسلمين، والمؤتمر

القرآني، وعضواً في الهيئة العليا للدعوة بالأزهر، وعضواً مؤسساً لعدد من الجمعيات الإسلامية .

وممّا يحفظه التاريخ تلك المؤتمرات والندوات التي قام بها شيخنا في السبعينات من أجل تطبيق الشريعة الإسلامية، وقد شاركه شيخ الأزهر الدكتور عبد الحليم محمود الذي كان نائباً للشيخ في مجلس إدارة العشيرة المحمدية، كما شارك فيها فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي، وكان يرأس هذه المؤتمرات فضيلة الشيخ محمد حسنين مخلوف مفتي مصر سابقاً .

وقد شارك شيخنا رحمه الله في اللجان التي أنشئت من أجل تقنين الشريعة الإسلامية، وتفريغ الأحكام الفقهية في شكل مواد دستورية .

كما كان له الفضل في العمل على إنشاء مكتب رعاية المهتدين إلى الإسلام بالأزهر الشريف في عهد الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله، وشارك في نشاط هذا المكتب، وقد أسلم على يديه عدد غير قليل ممن شرح الله تعالى صدورهم لدينه، وقد رأيْتُ بعضهم يعلن إسلامه على يديه رحمه الله، كما لمستُ وعرفتُ كيف كان

يسـاعد مَـنْ يدخل في دين الله ممن يحتاج المسـاعدة، علمية كانت أو أدبية أو اجتماعية، وما زال مكتب رعاية المهتدين إلى الإسـلام بالأزهر يؤدِّي مهمته إلى الآن بصورة أو بأخرى خير قيام .

مناظرات ومساجلات علمية:

وقـد كان للشـيخ مناظـرات ومسـاجلات مـع بعـض معاصريـه من الشـيوخ والعلماء، ممن اختلـف معهم في الرأي، والاختـلاف طبيعـة بشريـة، وقـد كان الشـيخ رحمـه الله قوي الحجـة، طوّع الله لـه اللغة والبيان، كـما كان ملتزماً أدب العلم والمناظـرة في كل ذلـك، وليـس أدل عـلى ذلك مـن رفضه نشر خطاب يـسيء لبعضهم بخط يد ذلك البعض، وكان قد سـبق إلى الله، فأبـى وقال: إن حرمة المـوت تمنعني من نشره وإن كان ما فيه حقاً إلا أن فيه إساءة كبيرة له .

ولعَـلَّ أشـهر هـذه المناظـرات مـا كان بينـه وبـين الداعيـة الشـيخ محمد الغـزالي رحمـه الله « حول عبـادة الرغبـة والرهبة » تلك المناظرات التي اسـتمرت ستة أشهر على صفحات الأخبار

والمسلم ولواء الإسلام، وشارك فيها الصحفي أحمد سالم والدكتور عبد الحليم محمود والشيخ محمد خليل الهراس والشيخ محمد عبد الهادي العجيل.

ومن المناظرات والمساجلات أيضاً: ما كان بينه وبين الشيخ عبد الرحمن الوكيل، والدكتور سيد رزق الطويل، والدكتور إبراهيم هلال، والأستاذ حسن قرون وغيرهم، وفي كل تلك المناظرات التزم الشيخ رحمه الله الأدب الصوفي الرفيع، والبحث العلمي النزيه والحجة المقنعة .

كما أنه انتقد عدداً من العلماء ورد عليهم ؛ فانتقد الشيخ عبد الجليل عيسى لما كتبه في كتابه (اجتهاد الرسول)، ورد عليه في كتاب (عصمة النبي ﷺ) الذي كان أول رد على ما نشره أحمد صبحي منصور، وقد فصل المارق: أحمد صبحي منصور من الأزهر بذلك الكتاب والتقرير الذي كتبه عنه الشيخ رحمه الله.

وقد عرضت مشيخة الطرق الصوفية على الشيخ بعد وفاة الشيخ الصاوي فرفض وقال: (ما سرني أن صرت شيخاً لطبال وزمار) .

شذرات من تصوف الإمام:

سماه بعض العارفين بالله (الشاذلي الثاني)، كما سمي أبو الحسن (الجنيد الثاني)، فقد جدد الله تعالى بالإمام محمد زكي إبراهيم التصوف عموماً، والشّاذلية خصوصاً، وأحيا الله تعالى به معارف قد طويت، وعلوماً عي ميراث أهل الصلاح والعرفان، فكان نَسيجَ وَحْدِه[1]، ومدرسة عظيمة .

تخرج في التصوف على يد والده، الذي كان شيخ فتحه وتمكينه، وما زال يمده ويعرفه بالصالحين ويأمره بالأخذ عنهم، حتى أصبح الإمام الشيخ محمد زكي إبراهيم مجمع أسانيد عصره في التصوف، وسلّم له الرجال بالتجديد والتقدّم.

وما زال شيخه يرعاه في سلوكه، فقطع شيخنا مدارج السلوك الصوفى، وأتم مسيرة (الأسماء السبعة) ثم (الثلاث عشرة) ثم (التسعة والتسعين) حتى انتهى إلى الاسم المفرد والأعظم)، ودخل الخلوة الصغرى والكبرى مرات.

---

(١) **نَسيجَ وَحْدِه:** أي لا نظير له في فضائله وكمالاته، وعن عائشة رضي الله عنها، أنها ذكرت عُمرَ رضي الله عنه تَصِفُه، فقالت: « كان واللهِ أَحْوَذِيّاً نَسيجَ وَحْدِه ».

وبالإضافة إلى هذا الإرث الصوفي، فإن الشيخ راح ينهل من كبار علماء التصوف في وقته، كالشيخ محمد بن إبراهيم الببلاوي، والشيخ سلامة العزامي، والشيخ إبراهيم أبي العيون الكبير، والشيخ عبد ربه سليمان، والسفير الأفغاني الصوفي الشيخ محمد صادق المجددي، والشيخ إبراهيم الغلاييني المفتي الدمشقي، وكان يحضر حلقات الذكر في منزل الشيخ محمود خطاب السبكي مؤسس الجمعية الشرعية، بالإضافة إلى علاقته بالشيخ عبد الرحمن البنا، وأبنائه الشيخ حسن البنا والشيخ عبد الرحمن البنا.

أمره شيخه الوالد بالإرشاد في حياته، فانطلق في الطريق مجاهداً وداعياً إلى الله على بصيرة، يربي المريدين ويرشدهم .

وورث الشيخ رحمه الله مقامات شيوخه، فهو الشاذلي في روحانيته ومدده وواراده ووِرده، وهو أبو العباس في نورانيته واتصاله بالنبي ﷺ، وهو ابن عطاء الله في حكمته وحكمه في المذهبين، وهو الشيخ زروق محتسب العلماء والأولياء في تجديده الطريق وقمعه للمبتدعة، وهو شيخ الأولياء سيدي

محمد بن ناصر الدرعي في معارفه وعلومه وتشرعه، وهو ابن عجيبة في فيوضه وشروحه، بل هو صاحب جبل العلم ابن مشيش في خفائه وظهوره، بل هو أبو مدين الغوث في معارفه وشعره ونثره وحكمه.

ولقد كان لسيِّدنا الإمام من جده ﷺ الحظ الوافر، والنصيب الأتم، وما زال يتقلب في مقامات الطريق، في زيادة من فضل الله، حتى لقي الله تعالى، نحسبه كذلك، والله حسيبه، ولا نزكي على الله أحداً . واقرأ - إن شئت - قصيدته الأويسية، وقصيدته في القطب، وقصيدته المنبهجة، وقصيدته (صوفي عرفته فوصفته)، فإنه ما أراد بها إلا نفسه .

وقد أصبحت كتابته رضي الله عنه مرجعاً للسّادة الصوفية، فاستطاع أن يعمل على تطهير التصوف من داخله، وتثقيف الوسط الصوفي، وتجديد همة أهله، وربطهم بتاريخهم المجيد، فدعا إلى الحركة والعمل، والتجميع، والكلام عن منهجه في التصوف، ومكافحته لأهل البدع والأهواء من أدعياء التصوف وأعدائه، باب واسع، وأحيلك على كتبه وتصانيفه .

تــــراثـــــه الأدبـــــي:

شيخنا سيدي محمد زكي إبراهيم من جيل الرواد الأوائل من شعراء هذا العصر، عاصر شوقي وحافظ والعقاد والرافعي والزيات، وكان له معهم صولات وجولات، وقد ألف خمسة دواوين شعرية في نحو خمسة عشر جزءاً من الشعر العمودي المقفى، في أغراض الشعر المختلفة . وقد طبع من هذه الدواوين:

١) **ديوان البقايا الجزء الأول والثاني**، وهما في عدة أغراض شعرية، ولكن يغلب عليهما الطابع الصوفي، وشعر الزهد والتأمل.

٢) **ديوان المثاني الجزئين الأول والثاني**، وهو في شعر الحكمة، إذ كل بيتين منه وحدة موضوعية قائمة بذاتها، تدل على معنى وضعت له، وما زال الجزء الثالث مخطوطاً .

بقي من دواوين الشاعر:

٣) هشيم المحتظر .

٤) الحصائد .

ويحتويان على شعر الشيخ في صدر شبابه، في شتى الأغراض والموضوعات، ففيهما الشعر الديني والاجتماعي وشعر الشباب، وقد نشرت بعض قصائدهما في مجلة أبولو وغيرها، وقد رجع الشيخ رحمه الله عن بعض ما قاله فيهما، وأمر أن يلحق ما تركه فيهما من شعر وما تناثر من شعره في الأوراق، ما كان من باب الزهد والتصوف إلى البقايا، وما كان من المثاني إلى المثاني، وما كان من شعره من باب الوجد والمنازلات الرُّوحية يجمع في ديوان خاص سماه:

٥) لحظات التجلي .

٦) ونوعٌ من شعره سمّاه « الخواطر ».

وقد كان للشاعر حلقة شعرية إسلامية ألّفها من كبار الشعراء الإسلاميين منهم: الدكتور حسن جاد، والأستاذ قاسم مظهر، والأستاذ محمود الماحي، والأستاذ عبد الله شمس الدين، والدكتور سعد ظلام، والأستاذ ضيف الله، والأستاذ الربيع الغزالي، والأستاذ شاور ربيع، والأستاذ محمد التهامي، والأستاذ أحمد عبد الخالق، واللواء رائف المعري، وغيرهم .

كما أن للشيخ مقالات أدبية ونقد أدبي رائق في مجلة أبولو، والفجر، والنهضة الفكرية، لعل من أهمها ما كتبه في نقد الأستاذ (أبي حديد) في الشعر الحر أو المرسل، ولا ننس ما انتقد به الزيات في سلسلة مقالاته (مشاغبات الأسبوع) التي نشرتها له جريدة الإخوان لعهدها الأول سنة ١٩٣٢ م .

وقد توسعت عن الجانب الأدبي في بحثي (الإمام محمد زكي إبراهيم شاعراً)، يسّر الله نشره .

وفاتـــه:

رحم الله شيخنا، كان المسجد بيته الذي لم يبرحه، ومدرسته ومضيفته وساحته، محط رحال كل من زاره ممن عرف قدره من العلماء والرؤساء والأمراء . ثُمَّ كان المسجد مجاوراً لمدفنه، فقد انتقل إلى رحمة الله الساعة الثالثة تماماً من فجر يوم الأربعاء ١٦ من جمادى الآخرة ١٤١٩ هـ، الموافق ٧ من أكتوبر ١٩٩٨ م بعد

حيـاة حافلـة اسـتمرت نحو قرن مـن الزمان في الدعـوة إلى الله، على هدى وبصيرة، ودفن مع أبيه وجدّه بجوار مسـجد مشـايخ العشيرة المحمدية بقايتباي القاهرة . رحم الله تعالى شيخنا الإمام محمـد زكـي إبراهيم، وألحقنا به على الإيمان، ورحم الله أشـياخنا جميعاً، ورحم الله من سبقنا من إخواننا إلى الله .

وصلى الله على سيدنا محمّد وآله وسلم .

❊ تمت (الطبعة الأولى) من هذه الرسالة ، على هذه الصفة، وهي الطبعة الثامنة من رسالة (الخطاب)، وكان الفراغ منها في يوم الخميس ٢٧ من شـهر جمـادى الأولى ١٤٣٣هــ ، الموافـق ١٩/ ٤/ ٢٠١١م، اعتنى بها وقام بخدمتها **تلميذ الإمام الرائد : محيي الدين حسين يوسف الإسنوي** من خريجي الأزهر الشريف ، والله الموفق المستعان.

فهرس المحتويات

* * *

مَنْ هُمْ "الصُّوفِيَّة" عندنا ؟!

هُم السَّادة عِبَاد الرَّحمن

١ـ المذكورُونَ فِي أَوَاخِرِ سُورَةِ "الفُرْقَانِ".

٢ـ وَالمعتَصِمُونَ بِمَا جَاءَ مِنَ العِلْمِ وَالعِبَادَةِ والخُلق.
في منشورَات الحَدِيثِ الشَّرِيفِ وَالقرآنِ.

٣ـ وَالمؤثرون بخصَائِصِهم الرَّفِيعَةِ وَرُوحَانِيَّتِهِم
السَّلفِيَّةِ فِي مَسِيرَةِ، الحُبِّ والتجميع والسَّلام
والسَّمَاحَة والحضَارة والتقدم والعُمْرَان
لا لِجَاهٍ وَلا دُنيَا وَلا سُلطَانٍ.

٤ـ وَالمندَمِجون في الحيَاة بموَاهِبِ التسَامي وَالدعوة
والمرونة والرجُولة والقدوة والوسَطِيَّة
لله تعَالى وللأوطَانِ.

٥ـ قَلبٌ مَعَ الحق، وَبَدَنٌ مَعَ الخَلق، الجمع في الجَنَان
والفرق في اللسَان ...

وَذلكَ هُوَ مَقَامُ الإحْسَانْ